

العدد ٤٤٨ - السنة الثامنة والثلاثون - ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

الإعلام الصهيوني والتطاول على أنبياء الله

- بدعة الاحتفال بشم النسيم
- تبصير الأمة بعقيدة أنصار السنة
- من محبطات الأعمال: «الذهاب إلى العرافين»

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله
صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية
مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة الثامنة والثلاثون العدد ٤٤٨ ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ



التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

"السلام عليكم"

هلك المتنطعون

المتنطعون قوم يسألون دائمًا عن الأغلوطات والمسائل العويصة، والتي لا ينفع العلم بها، ولا يضر الجهل بها.

من ذلك ما يروى أنه سأل رجل الإمام مالك بن أنس عن قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»، كيف الاستواء؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ولا أظنك إلا رجل سوء.

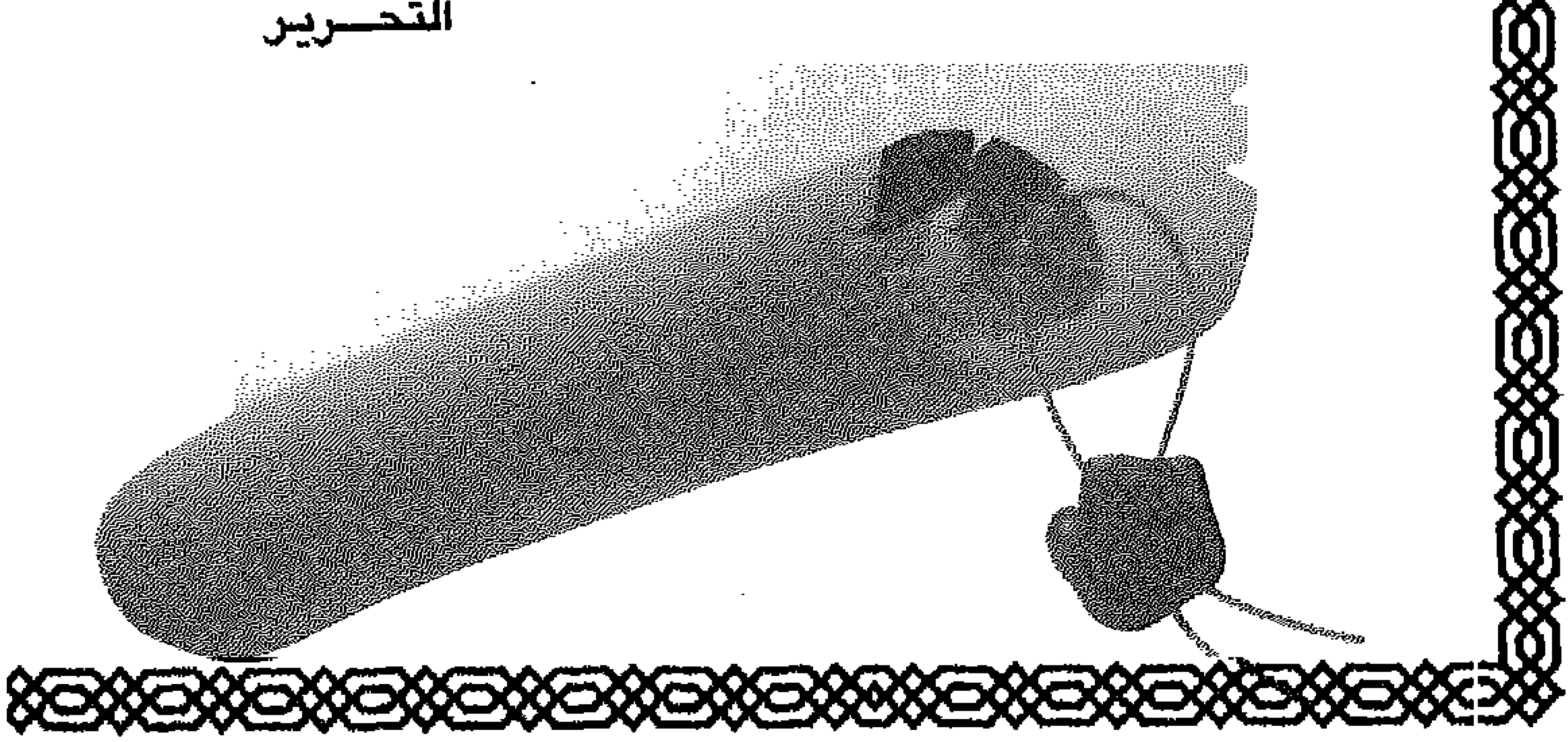
ومن ذلك أيضًا أن رجلاً سأل عمر بن قيس عن الحصاة يجدها الإنسان في ثوبه أو في خفه أو في جبهته من حصى المسجد، فقال: ارم بها، فقال الرجل: زعموا أنها تصيح حتى تُرد إلى المسجد، فقال: دعها تصيح حتى ينشق حلقها، فقال الرجل: سبحان الله! ولها حلق؟ قال: فمن أين تصيح؟

وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء، فقال: يكفيه منها كوكب الجوزاء.

ومن الناس من يقول: قلت لامرأتي: أنتِ طالق على كل مذهب لا يحلك شيخ ولا يحرمك؛ فما الحكم؟

ولذلك كان ابن سيرين إذا سُئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل: أمسكْها حتى تسأل عنها أخاك إبليس.

التحرير



التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

■ رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

■ مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

"في هذا العدد"

■ ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

■ الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

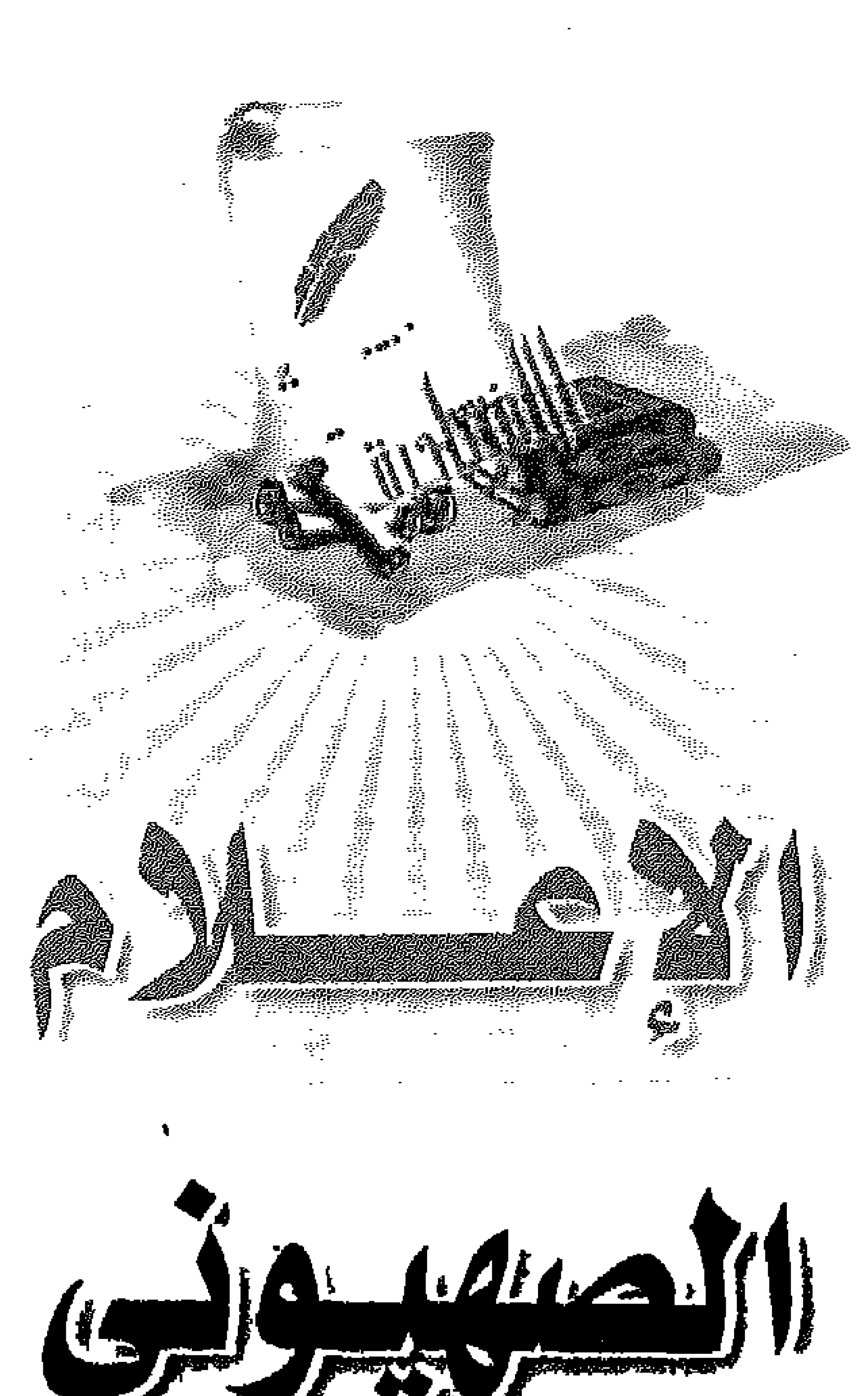
■ البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

٦٨٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
٢٣٠ دولارًا لمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

م.دار الجمهورية للصحافة



الإعلام الصهيوني والتطاول على أنبياء الله

د. جمال المراكبي

بقلم/ الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقديما كتب أحد الزنادقة أبياتًا من الشعر يصور فيها العلاقة بين الإسلام والنصرانية فقال:

في الأرض قامت ضجة
ما بين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق
وذا بمئذنة يصيح
كل يعظم دينه
يا ليت شعري ما الصحيح

لقد حاول هذا الزنديق الوقيعة بين أنبياء الله ورسله فصور العلاقة بين النبي محمد ﷺ وبين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام على أنها علاقة صراع وصدام ،بينما ختم هذه الأبيات بما يؤكد سوء نيته وخبث طويته وفساد معتقده وبيان حيرته وشكه في الدين الصحيح.

وحديثا يحاول بعض أهل الضلال الوقيعة بين المسيح عيسى ابن مريم وبين نبينا محمد صلى الله عليهما وسلم ،وقد سبق أن كتبت مقالا بعنوان (من هو الأعظم) ردًا على هذه الافتراءات مبينا عقيدة المؤمن في أنبياء الله ورسله ،وقول الله تعالى «لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» (البقرة: ١٣٦).

وفي الأسابيع الماضية أذاعت القناة العاشرة الإسرائيلية برنامجا طعنت فيه على المسيح عيسى ابن مريم وأمه وسبتهما سبا شنيعا ،ثم تناولت هذه القناة القذرة نبينا محمد ﷺ بالطعن والاستهزاء.

وقد عبر مجمع الفقه الإسلامي عن استنكاره لإساءات وسائل الإعلام الصهيونية لرسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام وأمه مريم الصديقة.

جاء ذلك في بيان أصدره المجمع أوضح فيه أن أمانة مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بتمثيله الواسع لعلماء الأمة وفقهائها من داخل العالم الإسلامي وخارجه تابعت ما تناقلته وسائل الإعلام المختلفة حول ما نشرته بعض وسائل الإعلام الصهيونية من إساءات للسيد المسيح وأمه السيدة مريم عليهما السلام.

وبين أن أي إساءة لأي نبي أو رسول يعد

خروجاً للمسلم من الإسلام ولا يقبل صدوره من أي شخص بحال من الأحوال وذلك انطلاقاً من إيمان المسلمين بنبوة السيد المسيح وبرفعة منزلته رسولاً من عند الله سبحانه وتعالى وبعظيم مكانة أمه الصديقة عليها السلام وإيمانهم بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

وقال لا يصح الاختباء في هذا المجال وراء ما يسمى بحرية التعبير أو حرية الرأي، لأن مثل تلك الإساءات ليست من هذا الباب

كما استنكر الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي تجرؤ القناة على التطاول على مقام رسول الله ﷺ وإهانة مشاعر وعقيدة المسلمين.

قائلا: «هذا التطاول يؤكد الوجه الحقيقي العنصري للمؤسسة الإسرائيلية وسعيها الدءوب لخلق الفتن وإذكاء الصراعات».

وقال: لقد صدمت مشاعر المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي من استمرار الحملة الشريرة التي تعرض لها الإسلام ونبيه عليه السلام حيث إن هذه الحملة المشينة قد تجاوزت كل المحرمات وأمعنت في قذف النبي الكريم بالسباب وازدراء دين سمح يتبعه ويدين به أكثر من مليار مسلم.

اليهود سبوا الله عز وجل، وقتلوا أنبياء الله بغير حق

وليس هذا غريبًا على قوم سبوا الله عز وجل ,وقتلوا أنبياء الله بغير حق ,وحفل تاريخهم بكل نقيصة، ولعنهم أنبياء الله ورسله ,وقد سجل القرآن عليهم هذه الجرائم ,وتوعدهم بالعقاب الأليم.

قال الله تعالى: «لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (آل عمران: ١٨١ - ١٨٣).

وقال تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (المائدة: ٦٤).

وقال تعالى: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ» (المائدة: ٧٨، ٧٩).

اليهود آذوا موسى

قد يعتقد البعض أن هؤلاء المغضوب عليهم هم أتباع موسى عليه السلام ,ولكن الحقيقة أن موسى لم يسلم من تطاولهم.

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا» (الأحزاب: ٦٩).

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى، عليه السلام، كان رجلا حَيِيا سِتِّيرا، لا يُرَى من جلده شَيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدْرَة وإما آفة، وإن الله، عز وجل، أراد أن يُبرئه مما قالوا، فخلا يوما وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلما فرغ اقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حَجَر، ثوبي حَجَر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عُريانا أحسن ما خلق الله، عز وجل، وأبراه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطَفِقَ بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لَنَدبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا -قال: فذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا» (الأحزاب: ٦٩).

وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم ,ورواه أحمد كذلك.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسما، فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله. قال: فقلت: يا عدو الله، أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت. قال: فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمرَّ وجهه، ثم قال: «رحمة الله على موسى، فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر». متفق عليه.

اليهود سبوا مريم

لم تسلم السيدة العذراء البتول مريم ابنة عمران من تطاول هؤلاء المغضوب عليهم ,والطعن عليها على مدى التاريخ.

قال تعالى: «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» (النساء: ١٥٥- ١٥٩).

قال أبو جعفرالطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: وبكفر هؤلاء الذين وصف وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا.

يعني: بفريتهم عليها، ورميهم إياها بالزنا، وهو«البهتان العظيم» لأنهم رموها بذلك، وهي مما رموها به بغير ثَبَتٍ ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول.ثم نقل هذا التفسير عن ابن عباس وغيره.

والحق المبين أن مريم سيدة نساء العالمين التي طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين.

قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ».

عن عبد الله بن جعفر قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة». متفق عليه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». متفق عليه.

وفي رواية خارج الصحيح: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسيَةُ امرأةُ فرعون، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنت محمد، وفَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

بين أحمد والمسيح

النبي اولي الناس بعيسى ابن مريم

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ,رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ,قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم: «الأَنْبِيَاءُ أُخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ فِيكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ تَقْطُرُ وَلَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، وَإِنَّهُ سَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ، حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الإِسْلاَمِ، وحَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ مَسِيحَ الضَّلاَلَةِ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ الأَمَانَةُ فِي الأَرْضِ، حَتَّى يَرْعَى الأَسَدُ مَعَ الإِبِلِ، وَالنَّمِرُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَتَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، وَلاَ

يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَمُوتُ، وَيُصَلَّى عَلَيْهِ وَيَدْفِنُونَهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

قال الحافظ ابن حجر أي أقربهم إليه لأنه بشر بأن يأتي من بعده ولا منافاة بينه وبين قوله تعالى «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ» (آل عمران: ٦٨) لأنه هو أولى الناس بإبراهيم من جهة الاقتداء وأولاهم بعيسى ابن مريم من جهة قرب العهد. انتهى.

لكن لا يخفى أن مجرد قرب العهد لا يلائمه قوله الأنبياء أخوة فالأولى أن الموجب لكونه أولى الناس بعيسى عليه الصلاة والسلام أنه كان أقرب المرسلين إليه وأن دينه متصل بدينه وأن عيسى كان مبشرا به ممهدا لقواعد دينه داعيا الخلق إلى تصديقه ثم قال وهذه الجملة استئناف فيه دليل على الحكم السابق كأن سائلا سأل عن المقتضي للأولوية فأجاب النبي بذلك وبين أن الأخوة التي بين الأنبياء ليست بينهم وبين سائر الناس جعل ذلك كالنسب الذي هو أقرب الأسباب ثم بقرب زمانه من زمانه واتصال دعوته بدعوته كما ستجيء الإشارة إليه والدلالة عليه بقوله وليس بيننا نبي.

الشهادة للمسيح بالنبوة والرسالة

عن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَىِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ». متفق عليه.

وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ».

النهي عن إطراء النبي ﷺ وعيسى

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله».

الإطراء: هو الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه وقيل هو المديح بالباطل والكذب فيه. كما أطرت النصارى ابن مريم أي بدعواهم فيه الألوهية وغير ذلك.

النبي ﷺ يتمثل مقالة المسيح يوم القيامة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ». فأول من يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (المائدة: ١١٧، ١١٨). متفق عليه.

نزول المسيح عيسى ابن مريم

عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها). ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا».

والحمد لله رب العالمين

كلمة التحرير

المحكمة الجنائية الظالمة ...

الحمد لله الذي نصب الكائنات على ربوبيته دليلا، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا، أحمده سبحانه وأشكره، أولانا من فضله وكرمه عطاء جزيلاً.

وبعــد:

فإن حركة التاريخ في السنن والنواميس تعطي أفقًا واسعًا للنظر والتامل والتدبر، أسباب تجتمع بإذن الله فيكون باجتماعها انتصار وقوة، ثم تجتمع بطريقة أخرى ليكون بها التشرذم والانحسار والضعف، لا مفر من سنن الله الجارية في التاريخ، فهي لن تحابي أحدًا.

قال تعالى: « أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ » [آل عمران: ١٦٥].

إن الأمة تعيش مآسٍ في مشارق الأرض ومغاربها، والفتن والمؤامرات تُحاك بالأمة من أعداء الإسلام في بقاع المعمورة، تساعدهم وتساندهم شرذمة من مرضى القلوب من بني جلدتنا لإشعال فتن داخلية لن يكون فيها رابح سوى العدوّ المتربِّص، ولن نُحَصِّل من ورائها إلا الثمار المرة.

الأمة تعتصر ألمًا وتكتوي لوعة وأسى، ويشتد البلاء، ويَعظم الخطب ، والتاريخ بأحداثه على مر العصور يكشف للأمة أن أبرز مصائبها ولأوائها وخَلْخَلَة أركانها من داخلها، قال تعالى: «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » [الكهف: ١٠٤]، وقال تعالى: « الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ » [الشعراء: ١٥٢]، فيَعم فسادهم وينتشر في غفلة، متناسين أنهم سيلقون ربًا عليمًا غفورًا يعلم ما دبروه في ليل، وسَيفضحهم على الملأ ويكشف تدبيرهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

لن تموت الأمة مهما بلغت جراحها

إن الظلم اليوم بلغ من القسوة غايته، ومن الجبروت أقصاه، لا تحركه إلا لغة المصالح الأرضية والمطامع الدنيوية، ومهما بلغت جراح الأمة فإنها لن تموت، وليل الظلم قد أزف زواله، فإن الفجر قد دنا وأشرقت أنواره.

والأمم تَتَقلَّب في أطوار وأطباق، ما بين عزةٍ وذلة، وكثرةٍ وقلة، وغنىً وفقر، وعلم وصناعة، وجهل وإضاعة، والأمة الواعية مهما عانت من ضراء وعالجت من بلاء، وكابدت من كيد أعداء، فإنها سرعان ما تفيق من غفْلتها، وتستيقظ من رقدتها، فتُقيم المائد، وتُقَوِّم الحائد، وترتق الفتق لتعود عزيزة الجانب لا يتجاسر عليها غادر، ولا عدوٌ ماكرْ.

والأمة الإسلامية تُعايشُ حروبًا ثائرة، وشرورًا متطايرة، تُشتت نظامها، وتُشَعِّبُ التئامها، يقودها قوم كفرة فجرة، غدرةٌ مكرة، خونةٌ خَسرة، لا يرقبون في مؤْمنٍ إلاً ولا ذمة.

ومَعْذرَةً على تلك المقدمة التي فرضتها عليَّ أحاسيس مشحونة بالأسى والشجون مما يراه المرء أمامه ويَسْمَعهُ من فئة نَسيت أو تناسَتْ أن هناك ربٌ غفور عليمٌ خبير يعلم خائنة الأعينُ وما تخفى الصدور، أناسٌ ترعرعوا في الفتن وتربوا فيها، فتنٌ تعاظم اليوم خطرها، وتطاير شرُّها وتزايد ضررها، فتنٌ يُوشك أن تنال كثرة كاثرة من أبناء المسلمين تؤثر عليهم في دينهم ودنياهم، لا سيما من لا يميز بين نافع وضار، ولا بين حَسَنٍ وقبيح، فِتَنٌ تثير الشكَّ من بعض المسلمين في ثوابت دينهم

وتآمر الغرب والصهاينة

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

ومقررات شريعتهم، وتسبب الحيرة لكثيرين والانحراف لآخرين.

إن الفتن يصيبُ ضررها الجميع ويكون معها الشر والفساد للبلاد والعباد، إذا لم تُعالج بميزان الشرع، ولم يحكم الناس أنفسهم بتعاليمه ويوقفوها عند حدودها، ولم يقدروا الأمور حق قدرها، وينظروا للنوازل والمدلهمات، والفتن يقوى تأثيرها وتظهر آثارها على ضعاف الإيمان، ومتبعي الشهوات فلا تجد الفتن حينئذ مقاومًا ولا مدافعًا، فتفتك بالعبد فتكًا، وتُمزقه كما يُمزِّق السَّهْمُ الرَّمية.

أخرج ابن أبي شيبة عن حذيفة رضي الله عنه قال: «لا تَضُرُّك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق بالباطل». [مصنف ابن ابي شيبة ٧ / ٤٦٨].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيءُ فتنٌ يُرققُ بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، ثم تجيء الفتنة فيقول: هذه هذه، فمن أحَبَّ أن يُزَحْزح عن النار ويدخل الجنة فَلْتَأته مَنيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يُحبُّ أن تؤْتى إليه». [أخرجه مسلم في الإمارة].

العدل والعدالة الدولية العرجاء!!

إن الحضارات الإنسانية لا تبلغ أوج عزها، ولا ترقى إلى قوة مجدها إلا حين يعلو العدل تاجها، ويتلألأ به مفرقها، تَبْسُطُهُ على القريب والبعيد، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والحاضر والباد.

لقد دلَّتْ الأدلة الشرعية وسنن الله في الأولين والآخرين أن العدل دُعامة بقاء الأمم، ومستقر أساسات الدول، وباسط ظلال الأمن، ورافع أبنية العز والمجد، ولا يكون شيء من ذلك بدونه.

ولكن يبدو أن هناك نوعًا من العدل مختلفٌ مُفهومه، إنه عدل الجبارين والمتآمرين على الإسلام والمسلمين، عَدْلُ الخونة والعملاء المُسَيَّسين.

وفي الأيام الأخيرة شُغل العالم الإسلامي في ربوع المعمورة بتفاصيل المؤامرة التي ينفذها «أوكامبو» المدعي العام للمحكمة الجنائية الأمريكية الغربية!! عفوًا أقصد المحكمة الجنائية الدولية، بتعليمات من أمريكا والصهاينة اليهود والدول الغربية المتآمرة معهم.

وبنظرة سريعة حول هذا الموضوع الذي أضحى يشكل هاجسًا للقيادات العربية والإسلامية، فإننا نجد أن الرئيس «البشير» منذ أن تولى السلطة في السودان في أواخر يونيو ١٩٨٩م، والحرب مُعلنةٌ عليه من كل اتجاه، الاتهامات تُلاحقه والإعلام الغربي يطارده، وكأنه يريد إظهاره في صورة الحاكم «الإرهابي» المنتمي إلى أصول إسلامية متطرفة، فاتهموه بأنه صنيعة الجبهة الإسلامية المتطرفة كما يقولون وزعيمها حسن الترابي، وأنه يحمل أجندة معادية للمسيحيين في الجنوب، أجندةً تسعى إلى إحداث حرب تطهير عرقي للقبائل الإفريقية في العديد من ربوع السودان.

فبدأوا حربًا جائرة عليه، وتآمروا عليه سرًا وعلانية، تحالفوا ورصدوا الأموال، ومدوا أياديهم للمتآمرين والمتمردين في الجنوب، ثم سرعان ما راحوا يمارسون أدوارهم التآمرية في غرب السودان وشرقه، وبدأوا وكأنهم أعدوا العُدة لمخطط التفتيت.

وعندما تفجرت مشكلة دارفور منذ أكثر من ست سنوات بدأ الغرب يُضخ الأموال، وأوعز إلى بعض حلفائه بتدريب عناصر التمرد ومدها بكل أنواع الأسلحة، وراحوا يفرضون حمايتهم على العديد من المنظمات التي أثارت الفتنة في المنطقة، بل وفتحوا الباب أمام رعاية قادة هذه الحركات في بلدانهم خاصة فرنسا وبريطانيا.

ومنذ ذلك الوقت سخر الغرب آلته الإعلامية وأطلق يد عملائه لشن أكبر حرب ضد النظام الوطني الحاكم في السودان.

اللوبي الصهيوني يوظف منظمات المجتمع المدني

ومنذ تفجر الأزمة زار دارفور حوالي ٤٠٠ مراسل أجنبي ويوجد على أرض دارفور حوالي ٣٠٠ منظمة أجنبية يعمل بها أكثر من ١٧ ألف عامل علاوة على أكثر من ١٣ ألف جندي يمثلون قوات الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي، إلا أن أحداً منهم لم يَقل إن هناك حرب إبادة تُشَن، ولم يكتشفوا مقبرة جماعية تكشف أن هناك ترصداً وقتلاً متعمداً، غير أن الغرب راح يتفنن في صناعة الحدث بالضبط كما يتفنن في صناعة النجوم من الساسة الجدد والعلماء في المنطقة والعالم.

وقد استطاع اللوبي الصهيوني في الغرب أن يوظف العديد من منظمات المجتمع المدني في هذا الوقت وشَكَّل منها تحالفاً باسم «تحالف إنقاذ دارفور» يضم ١٨٠ منظمة منها ٣٠ منظمة يهودية هدفها الترويج للافتراءات والأكاذيب وإنتاج الصورة التي تناقض الحقيقة على أرض الواقع في دارفور.

لم تكن المشكلة بالنسبة لهؤلاء هي وجود حرب تطهير عرقية - كما يدعون -، ولم تكن المشكلة هي تقاسم السلطة والثروة في دارفور، وإنما كان الهدف هو السودان نفسه، فالمؤامرة تستهدف الخرطوم، وهؤلاء ليسوا سوى أدوات لها، وإن قيام حركة تحرير السودان التي يتزعمها عبد الواحد نور، وهي واحدة من أبرز منظمات التمرد في دارفور قام بافتتاح مكتب لها في تل أبيب، وقيام رئيسها بزيارة الكيان الصهيوني كان هو الرد الأبلغ على مروجي الادعاءات والأكاذيب حول دارفور.

وانظر مثلاً إلى موقف قادة حركة العدل والمساواة «تلاميذ حسن الترابي»، لقد رجعوا إلى الخرطوم انطلاقاً من تشاد وحاولوا إسقاط النظام والاستيلاء على مقاليد السلطة، وبعد فشل المحاولة الانقلابية حاولت الحكومة القطرية جمع الشمل بين قادة الحركة وممثلين عن الحكومة السودانية، واستطاعوا التوصل إلى صيغة اتفاق بين الطرفين، وما أن أعلنت المحكمة الجنائية الدولية عن إصدار قرارها بخصوص طلب المدعي لتوقيف الرئيس البشير، حتى تجاهل رئيس الحركة «خليل إبراهيم» اتفاقه مع الحكومة وقال: «إن حركته ستركز جهودها للإطاحة بالرئيس السوداني إذا أصدرت المحكمة الجنائية الدولية مذكرتها باعتقال البشير في الرابع من شهر مارس».

إن أهداف هذه المؤامرة على السودان لا تخفى على أحد، والقضية هنا أكبر من الرئيس البشير، إنها تستهدف السودان ووحدته شعباً وأرضاً، فالمطلوب هو تقسيمه وتفتيته ليلحق بالعراق تنفيذاً لمخطط الشرق الأوسط الجديد.

عصر القوة.. والمؤامرات الدولية

إننا نعيش عصر القوة الغاشمة، فلا شيء يتكلم الآن سوى القوة، ولا صوت مسموع سوى صوت الأقوياء الذين يحتكرون حق تعريف المفاهيم والمصطلحات ولديهم الجرأة على تسمية المقاومة إرهاباً، ووصف الإرهاب بأنه حق مشروع للدفاع عن النفس !!

هؤلاء الأقوياء هم الذين يتلاعبون بمواصفات حقوق الإنسان من بلد إلى آخر وليس لأحد أن يناقشهم حول ازدواجية المعايير ؛ لأن المعايير عندهم لا تنطلق من التزام بالمبادئ والقوانين الدولية، وإنما تنطلق من حسابات مصالحهم، وقد رأينا على مدى السنوات الأخيرة كيف تتحول الدولة المارقة إلى دولة معتدلة والعكس، فالمسميات عند أقوياء العصر تتغير بين يوم وليلة وفقاً لمعاييرهم وحسابات مصالحهم.

في عصر القوة يملك الأقوياء أن ينتصروا للشرعية الدولية في مكان، وأن يدوسوا عليها بالأحذية والأقدام في مكان آخر، وبالتالي لم يعد غريبًا أن يتم تصنيف أي دولة تتجرأ على أن تقول: «لا» على أنها دولة مارقة ومتمردة، ونظام حكمها غير شرعي وديكتاتوري.

المطلوب في عصر القوة أن تدخل الدول الصغيرة والضعيفة بيت الطاعة حتى تنال شرف تصنيفها ضمن قوائم الاعتدال، ولا يتم اتهامها بعرائض الاتهام التي تبدأ بتهمة عدم احترام حقوق الإنسان، وتندرج حتى تصل إلى درجة الاتهام بارتكاب جرائم حرب !!

المحكمة الجنائية... وتآمر الغرب والصهاينة !!

إن الأمة الإسلامية هي المستهدفة وليس السودان وحده ممثلاً في رئيسها عمر البشير، ولقد جاء البشير إلى الحكم في نهاية يونيه ١٩٨٩، ومنذ اليوم الأول قرر أن يحكم بلاده مستندًا إلى الشريعة الإسلامية، وانحاز إلى قضايا الأمة، ورفض أن يكون طرفًا في الأحلاف المشبوهة، ووقف إلى جانب المقاومة في كل بقعة مسلمة، ورفض كل الضغوط التي مورست على بلاده لإجبارها على إقامة علاقات مع الكيان الصهيوني.

وقد تدخلت «أمريكا» أكثر من مرة ومارست ضغوطها، وبعد فشلها في ذلك راحت توجه ضرباتها إلى عمق السودان، وتطلق صواريخها على مصنع الشفا للأدوية والتي زعمت أنه مصنع لإنتاج الأسلحة الكيماوية، لكنها فشلت أيضًا، فراحت تستخدم أدواتها وتفتح جروحًا غائرة في المجتمع السوداني، وتسعى إلى تأجيجها وصب الزيت على النار لإشعالها.

ووصل الأمر إلى حد أن الصهاينة ومعهم الغرب أصبحوا ممولاً أساسيًا لميلشيات الجنجاويد التي أحرقت قلوب أهالي وقبائل دارفور وأشاعت العنف والفوضى في كل رُكن فيها، والجنجاويد عادة ما يلبسون ثيابًا بيضاء مثل أهل السودان ويركبون الخيل ويهاجمون السكان والمتمردين معًا في دارفور، يستهدفون قبيلة الزغاودة الأفريقية التي خرج منها أحد زعماء التمرد في دارفور تتهمهم بأنهم أعوان الحكومة السودانية، والحكومة تقسم بأغلظ الأيمان بأنها لا ولاية لها عليهم وأنهم يهاجمون قواتها أيضًا، والنتيجة هي الحصاد المر الذي يحقق أجندة إسرائيل والغرب، فهذه الميلشيات حققت الأرقام القياسية في القتل والاغتصاب والإبادة الجماعية والنهب، وحرق عشرات الآلاف من البيوت، وتشريد مئات الألوف من الأشخاص.

والبديهي ألا ترى الأمم المتحدة شيئًا من المخالفات والجرائم التي تحدث في الكون، فلا يشد انتباهها إلا ما حدث في دارفور، فتقول: إن أسوأ أزمة شهدها العالم تظهر جليًا في منطقة دارفور غرب السودان، ونفس الشيء بالنسبة لمجلس الأمن وكل منظمات حقوق الإنسان.

إنها سياسة الكيل بمكيالين، بل قل إنها لغة القوة التي لا تتعامل مع الأقوياء، بل تتعامل مع مَن هانوا وضعفوا واستكانوا، فأصبحت بلادهم مستباحة، وأهلها يُقتلون ويشردون على مرأى ومسمع من العالم المتحجر الذي انتفت عنه صفة الإنسانية التي يتشدق بحقوقها.

ولا عجب للموقف الأمريكي والغربي والصهيوني، فمئات الآلاف الذين يُقتلون في كل بقعة من أرض الإسلام لا يعد انتهاكًا، وخنازير اليهود يرتكبون عشرات المجازر ولا تكون عصابتهم الحاكمة منذ عام ١٩٤٨م حتى الآن مطلوبة للعدالة والجزار بوش الذي غزا العراق والصومال وأفغانستان هو وزمرته العسكرية لا يلاحقون من قِبل المحكمة الدولية.

وكذلك مجازر غزة تجرى على مرأى ومسمع من هذا العالم الجبان والزمرة الدولية الخائنة.. وزعماؤنا يتشابكون بالكلمات ويتعايرون بالعمالة مع أمريكا وإسرائيل، فهل يتق الله قادتنا في أنفسهم أولاً وفي شعوبهم ثانيًا ويجتمعوا على قلب رجل واحد؛ حتى لا يجد أعداء الإسلام – من سدنة الفساد الدولي – فرصة لكي يعبروا مِن خلالها إلى تفريق أمتنا وتمزيقها؟

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



تفسير سورتي
الهمزة والفيل

إعداد: د/ عبد العظيم بدوي

يقول الله تعالى: «وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ». (الهمزة: ١- ٩).

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، قد توعدت الذين يعيبون الناس، «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (التوبة: ٣٤)، وذكرت أن مأواهم جهنم وبئس المهاد.

قوله: «وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ» اختلف العلماءُ في الهمز واللمز، هل هما بمعنى واحد، أم يختلفان؟ فقال بعضهم: هما بمعنًى واحد، وقال بعضهم: يختلفان، فالهمزُ: هو عَيْبُ الغير باللسان في غيابه.

واللَّمزُ: هو عَيْبُ الغير باليد، أو بالعين أو بالإشارة، أو بالكلمة الخفية في حضوره، وعلى كلِّ حال، فالمراد بالهمز واللمز عيب الناس، وازدراؤهم، واحتقارُهم.

وقد استفتحت السورة بهذا الوعيد الشديد: «وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ» قيل: الويل كلمة تقال للزجر والردع، وقيل: وَيْلٌ، وادٍ في جهنم، تستغيثُ جهنم بالله من شدة حره، فالهمز واللمز من الكبائر، وهما من عمل المنافقين والكافرين، قال تعالى: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ» (التوبة: ٥٨)، وقال تعالى: «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (التوبة: ٧٩)، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ» (المطففين: ٢٩- ٣٣)، وقد نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طاعة مَنْ هذه صفته، فقال: «وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ» (القلم: ١٠، ١١)، ونهى المؤمنين عن هذه الصفات، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (الحجرات: ١١).

ثم وصف الله الهمزة اللمزة بأنه: «الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ»، كما قال تعالى: «وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» (القلم: ١٠- ١٥)، فكثرة المال تُطْغي، والكثيرُ المال يربو بنفسه فوق الناس، فيراهم دونه، فيزدريهم ويحتقرهم، ويسخر منهم، كما كان منْ صاحب الجنتين، قال تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا» (الكهف: ٣٢- ٣٤)، وكما كان من قارون، قال تعالى: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ» (القصص: ٧٦).

وقوله تعالى: «الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ» يعني: انه مشغولٌ أبدًا بهذا المال، فهو طولَ النهار يعدّه عدًا،

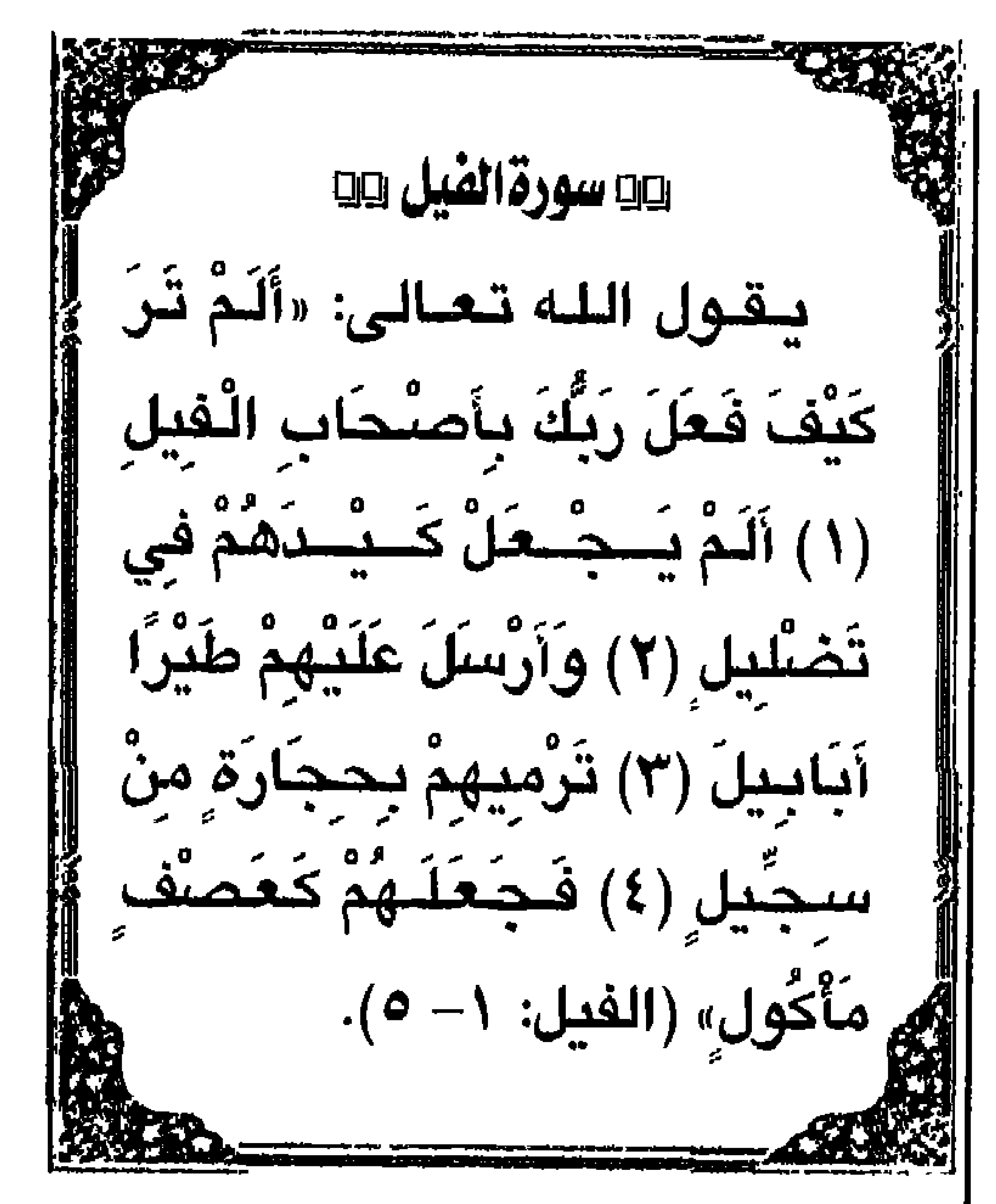
فإذا كان الليل نام كالجيفة، نسأل الله العافية.

وقوله تعالى: «يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ» أي: يظنّ الجاهل أن ماله يدفعُ عنه الموت وينجيه منه، فيكون من الخالدين، حتى لو ظن أنه يموتُ اعتقد أن الآخرة خيرٌ له من الأولى، كما كان منْ صاحب الجنتين إذ «دَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا» (الكهف: ٣٥، ٣٦)، قال تعالى: «كلا» ليس الأمر كما يظن، «مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ» (المسد: ٢)، فالمالُ لا يدفع الموتَ عن أحد، ولو كان المال يُغْني عن صاحبه شيئًا لأغنى عن قارون، الذي أوتي من الكنوز «مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ»، ومع ذلك خَسَفَ الله به وبداره الأرضَ «فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ» (القصص: ٨١).

ثم قال تعالى متوعدًا: «لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ» أي: لَيُرْمَيَنَّ في النار التي يحطم بعضها بعضًا، «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ» سؤالٌ لتفخيم أمرها وتعظيم شأنها، جوابُه: «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ» وإضافتها إلى الله أيضًا لتفخيم أمرها وتعظيم شأنها، قال النبي ﷺ: «إن ناركم هذه التي توقدون جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم». قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية قال: «ولكنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءًا، كلها مثل حرها».

وقوله تعالى: «الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ» يعني: أنها تأكل اللحوم حتى تطلع على الأفئدة فَتَمَسُّها، ومع ذلك لا يموتون، كما قال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا» (فاطر: ٣٦)، وقال تعالى: «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ» (النساء: ٥٦)، وقوله تعالى: «إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ» أي: مُغْلَقَةٌ، على خلاف الجنة فإنها مفتحة الأبواب، كما قال تعالى: «هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ» (ص: ٤٩، ٥٠)، لأنها دار السلام والأمان، وأما جهنم فدارُ الخوف والقلق والعذاب، وإغلاق الأبواب يقطع الآمال، ويخيب الرجاء، وقوله تعالى: «فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ»: أي أنّ على أبواب جهنم عمدًا ممدة، قد أُغْلِقَتْ بها فلا تُفتحُ لهم، وأشبه شيء بهذه العمد العمد التي كان أصحاب المحلات قديمًا يُغْلقون بها محلاتهم، كنا نرى قديمًا على باب المحل عمودًا طويلاً ممددًا في عُروة من هذه الناحية، وعروة من تلك، وفي هذا العمود القفلُ، فهذه العمد القديمة أشبه ما تكون بالعمد الممددة على أبواب جهنم.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجيرنا وسائر المسلمين من النار ومن عذاب النار.



سورة الفيل

يقول الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ» (الفيل: ١ - ٥).

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، تذكر أهل مكة بنعمة الله عليهم حين ردّ أصحابَ الفيل بغيظهم لم ينالوا خيرًا، وكانوا قد جاءوا لهدم الكعبة، فأرسل الله عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف ماكول، فواجبٌ عليهم أن يشكروا الله على هذه النعمة وأن يعبدوه، ويؤمنوا برسوله ﷺ، كما أنها تذكِّر النبي ﷺ بهذه الحادثة حتى يصبر على أذى قومه، ويعلم أن الله ناصره وجاعلٌ العاقبة له.

تفسير الآيات

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» أي: ألم تعلم. فالرؤيةُ هنا رؤيةُ البصيرة لا رؤية البصر، إذ أنّ النبي ﷺ في أرجح الأقوال وُلد عام الفيل، فلم يرَ بعينه كيف فعل ربه بأصحاب الفيل، وقوله تعالى: «أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ» يعني أنه تعالى خيب سعيهم، فرجعوا يجرون ذيل الخيبة، ولم يظفروا بشيء مما أرادوا، «وأرسل» الله «عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ» يعني جماعات جماعات، بعضُها في إثر بعض، «تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ» أي بحجارة من طين متحجر، لا تصيب أحدًا إلا قتلته، «فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ» أي: كورق الشجر الذي عصفتْ به الريحُ، وأكلته الدواب، ثم راثته.

«وكان من شأن أصحاب الفيل: أنه كان على

اليمن مِنْ قِبل ملك الحبشة رجلٌ يقال له: أرياط، وكان معه في جنده أَبْرَهة، فنازعه حتى تفرّقت الجنود عليهما، فانحاز إلى كلّ منهما طائفةٌ، ثم سار أحدُهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لن تصنعَ بأن تُلْقِي الحبشة بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئًا فشيئًا، فابرزْ لي وأبرزُ لك، فأيُنا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فأرسل إليه أرياط: أَنْصَفْتَ، فخرج إليه أَبرهةُ، وكان رجلاً قصيرًا لحيمًا، وكان ذا دين في النصرانية، وخرج إليه أرياط، وكان رجلاً جميلاً عظيمًا طويلاً، وفي يده حربةٌ له، وخَلْفَ أبرهة غلام يقال له: عَتْوَدَةُ، يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة فضرب ابرهة يريد يَافُوخَهُ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته، فبذلك سمي «أبرهة الأشرم»، وحمل عَتْوَدَةُ على أرياط مِنْ خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وودى أبرهة أرياط، فلما بلغ ذلك النجاشي ملك الحبشة الذي بعثهم إلى اليمن غَضِبَ غضبًا شديدًا على أبرهة وقال: عدا على أميري فقتله بغير أمري! ثم حلف لا يدعُ أبرهة حتى يطأ بلاده ويجزّ ناصيته، فحلق أبرهة رأسه وملأ جرابًا من تراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشي، ثم كتب إليه: أيها الملك إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك، فاختلفنا في أمرك، وكلٌ طاعته لك، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضْبَطَ لها وأسوسَ منه، وقد حلقتُ رأسي كلّه حين بلغني قسم الملك، وبعثتُ إليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدمه فيبر قسمه فيَّ، فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه وكتب إليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري، فأقام أبرهة باليمن.

ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْسَ بصنعاء، كنيسةً لم يُرَ مثلها في زمانها بشيءٍ من الأرض، وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك كنيسة لم يُبْن مثلها لملكٍ كان قبلك، ولستُ بمنتهٍ حتى أَصْرِفَ إليها حجَّ العرب، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي، غضب رجلٌ من كنانة، فخرج حتى أتى «القُلَّيْسَ» فقعد فيها – أي أحدث فيها – ثم خرج فَلَحق بأرضه، فأُخبر أبرهة بذلك. فقال: مَن صنع ذلك ؟ فقيل: رجلٌ من أهل هذا البيت الذي تحجه العرب، لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا غَضِبَ، فجاء فقعد فيه، أي: أنه ليس لذلك بأهل، فغَضِبَ أبرهةُ عند ذلك، وحلفَ ليسيرنّ إلى البيت حتى يَهْدِمَه، ثم أمر الحبشة فتهيأتْ وتجهزّت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعتِ العربُ بذلك فأعْظموه، ورأوا جهاده حقًا عليهم، فخرج إليه رجلٌ كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يُقال له ذُو نفرٍ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نفرٍ وأصحابه، وأخذ أسيرًا، فلما أراد أبرهة قتله قال: يا أيها الملك: لا تَقْتُلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرًا لك من القتل فتركه، وحبسه عنده في وثاق، ثم مضى أبرهة على وجهه حتى أتى خَثْعَم، فعرض له نُفَيْلُ بنُ حبيب الخثْعَمِي ومَنْ تابعه من العرب فقاتله، فهزمه أبرهة وأخذه أسيرًا، فلما همَّ بقتله قال له نُفيلُ: أيها الملك، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، فخلى سبيله، وخرج معه يدله، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه رجال ثقيف فقالوا له: أيها الملك إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلافٌ، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد – يعنون اللات – إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نَبْعثُ معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم، فبعثوا معه أبَا رِغالٍ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمُغَمّس، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فَرَجَمَتْ قبره العرب، ثم إن أبرهة بعث رجلاً من الحبشة على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعيرٍ لعبد المطلب ابن هاشم، وهو يومئذ كبير قريشٍ وسيدها، فهمت قريشٌ وكنانةُ وهذيل ومَن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حَنَاطةَ الحميريّ إلى مكة، وقال له: سَلْ عن سيد هذا البلد وشريفهم، ثم قُلْ له: إن الملك يقول لك إني لم آتِ لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا لنا دونه بحربٍ فلا حاجة لي بدمائكم، فإنْ هو لم يُرِد حربي فائتني به، فلما دخل حَنَاطةُ مكة يسال عن سيد قريش وشريفها، فقيل له عبد المطلب بن هاشم، فجاءه فقال له ما أقره به أبرهةُ، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام، وبيتُ خليله إبراهيم عليه السلام، فإنْ يمنعْه منه فهو حرمه وبيته، وإن يُخَلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه، فقال له حناطة: فانْطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك، فانطلق معه عبد المطلب

ومعه بعضُ بنيه، حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نَفر، وكان له صديقًا، حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نَفَر هل عندك من غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفَر: وما غناءُ رجل أسير بيدي ملك، ينتظر أن يقتله غدوًا أو عشيًا ؟ ما عندي غَناءٌ في شيء مما نزل بك، إلا أن أُنيسًا سائس الفيل صديقٌ لي، فأُرْسِلُ إليه وأُوصيه بك، وأُعْظِمُ عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عَيْن مكة، يُطْعِمُ الناسَ بالسهل؛ والوحوشَ في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت. قال: أفعل. فكلّم أنيس أبرهة، فقال له: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عين مكة، وهو الذي يُطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فائذن له عليك فليكلمك في حاجته، فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم، فلما رآه أبرهة أَجَلَّه وأكْرَمَه عن أن يُجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير مُلكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال: حاجتي أن يردّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له لقد كُنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لأهدمه لا تكلمني فيه ؟ فقال له عبد المطلب: إني أنا ربّ الإبل، وإنّ للبيت ربًا سيمنعه. فقال: ما كان ليمتنع منّي. قال: أنت وذاك. فردّ على عبد المطلب إبله.

ثم انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في رؤس الجبال، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقال:

لا هُمَّ إن العبد يمـ
ـنع رَحْلَه فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك
إن كنتَ تاركهم وقبـ
ـلتنا فأمْرٌ ما بدا لك

ثم انطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ، فلما أصبح أبرهةُ تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وعبأ جيشه، وكان اسم الفيل محمودًا، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْلُ بن حبيب حتى قام إلى الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود، وارْجع راشدًا من حيث أتيت؛ فإنك في بلد الله الحرام، وأرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نفيل يشتد حتى أصْعَدَ في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه فأبى، فأدْخلوا محاجن لهم في مراقّه فبزغوه بها ليقوم فأبى، فوجّهوه راجعًا إلى اليمن فقام يُهرْوِلُ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيرًا من البحر أمثالَ الخطاطيف، مع كلّ طائر منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك، وليس كلّهم أصابتْ وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي جاءوا منها ويسألون عن نُفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فجعل نفيل يقول:

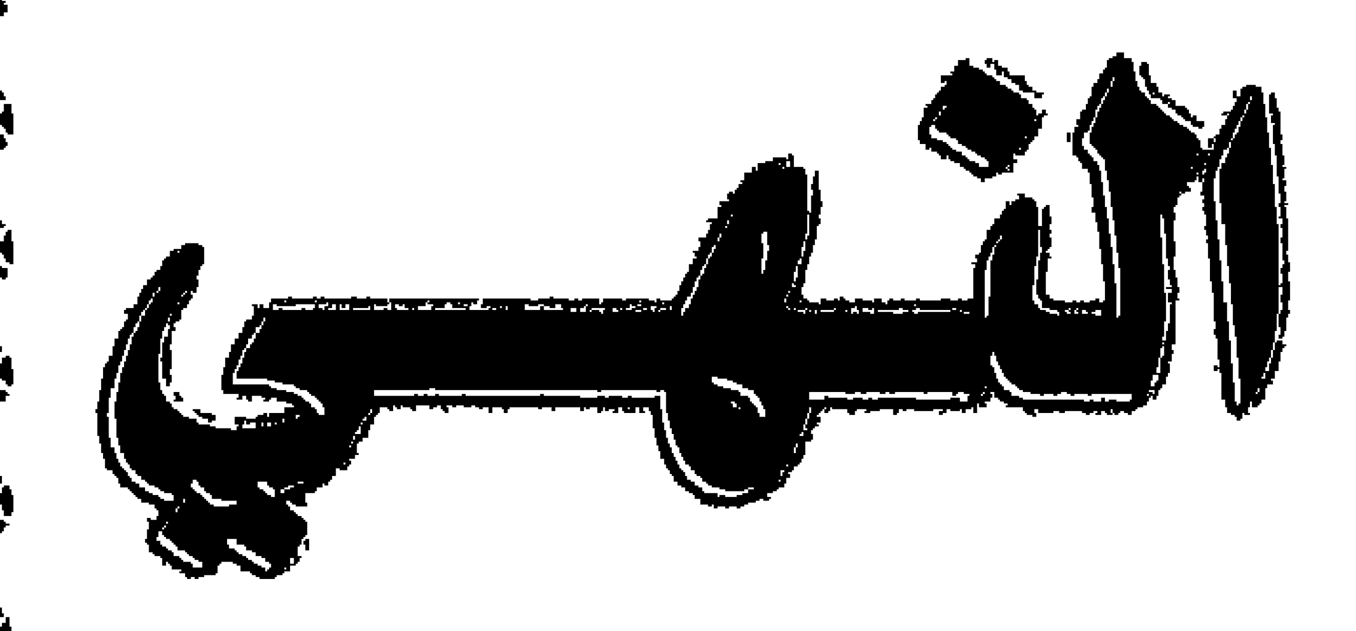
أين المفر والإله الطالبُ
والأشرم المغلوب ليس الغالب

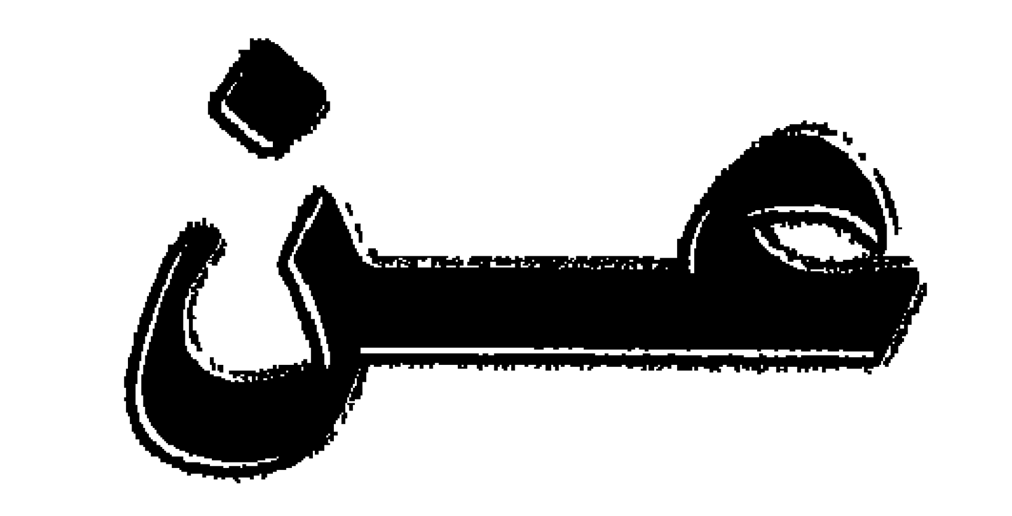
فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم ليسقُط أنملةً أنملةً، كلما سقطت أنملةٌ تبعتها منه مِدّةٌ تُمَثُّ (أي تنزف) قيحًا ودمًا، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فَرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

فلما بعث الله محمدًا ﷺ كان مما يعدّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...». السورة. اهـ. من «البداية والنهاية» لابن كثير، بتصرف (٢/ ١٦٩- ١٧٤).

والحمد لله رب العالمين.

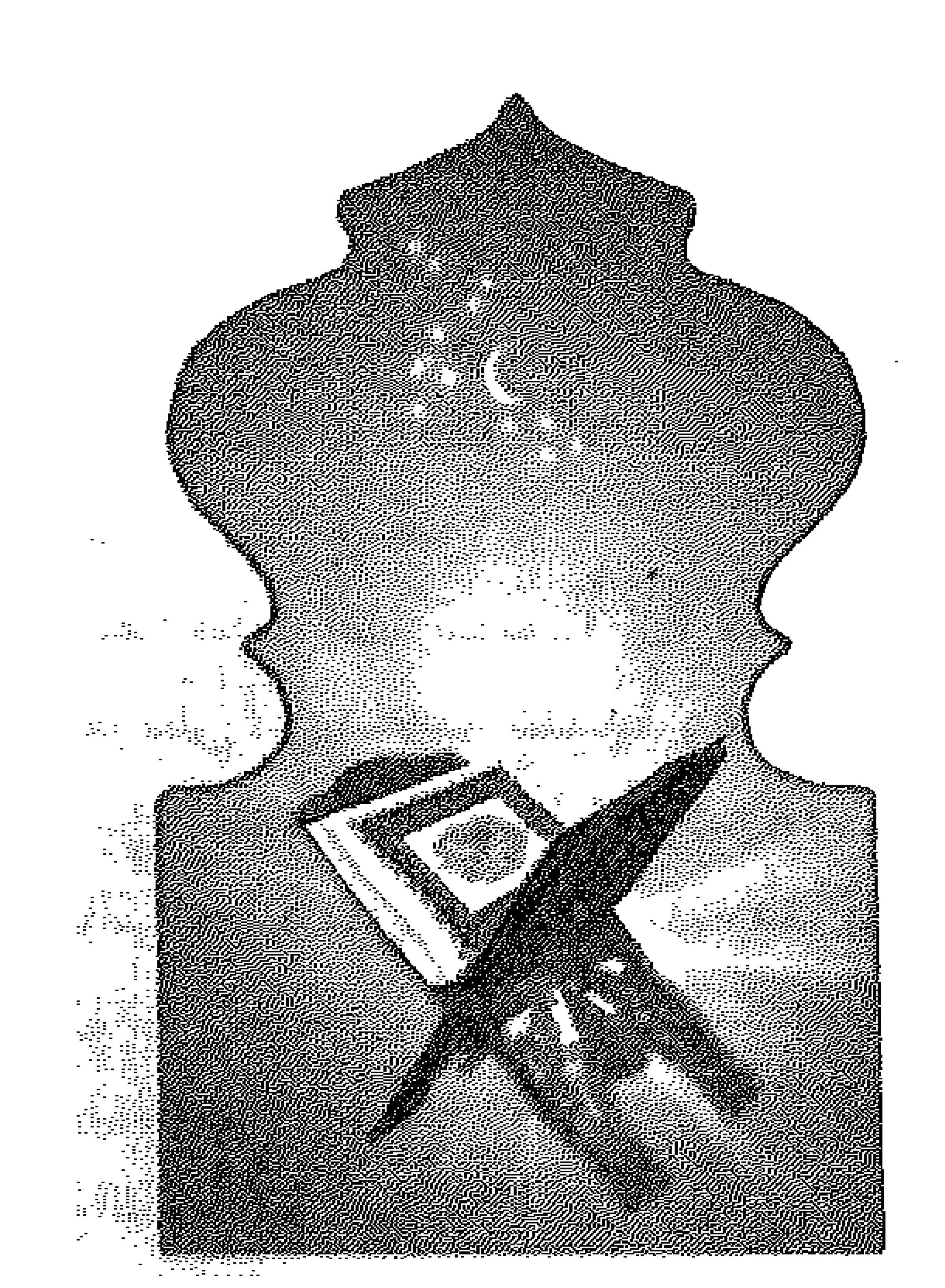
باب السنة







إعداد/ زكريا حسيني محمد



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا».

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة باب النهي عن الشحناء والتهاجر، برقم (٢٥٦٥)، كما أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب حُسن الخُلق باب ما جاء في المهاجرة، برقمي (١٦٨٧ - ١٦٨٨)، كما في الاستذكار لابن عبد البر، وأخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٣/ ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٦٥) من مسند أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب الأدب في هجرة الرجل أخاه، برقم (٤٩١٦)، وأخرجه أيضًا الإمام الترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في المتهاجرين، برقم (٢٠٢٣)، كما أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه في كتاب الصيام باب صيام الاثنين والخميس، برقم (١٧٤٠)، وأخرجه الإمام الدارمي في السنن كتاب الصوم باب صيام يوم الاثنين والخميس، برقم (١٧٥١).

شرح الحديث

بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن أبواب الجنة تفتح يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع لرفع الأعمال وقبولها وإعطاء الثواب الجزيل عليها، وكثرة الصفح والغفران ورفع الدرجات والمنازل فيها، وقد قال ذلك كما جاء في بعض روايات الحديث ردًا على مَن سأله عن صيامه ﷺ ذينك اليومين، وإكثاره من الصيام فيهما.

وجاء في رواية مسلم بن أبي مريم عند الإمام مسلم وغيره: «تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين»، وفي رواية له أخرى: «تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين؛ يوم الاثنين ويوم الخميس». والروايات يفسر بعضها بعضًا، فتفسير فتح أبواب الجنة بعرض الأعمال وقبولها واضح من روايات الحديث.

وقوله ﷺ: «فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا» فيه بيان خطورة الشرك، وأنه محبط للأعمال لا يقبل معه عمل، ولا تغفر معه خطايا ولا سيئات، ولا آثام

ولا زلات، فضلاً عن عدم غفران الشرك نفسه، ولقد بين الله عز وجل خطر الشرك وأنه أعظم الذنوب وأنه لا يغفر أبدًا، كما في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (النساء: ٤٨، و١١٦)، وقال تعالى: «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» (الحج: ٣١)، وقال تعالى في أول وصايا لقمان لابنه: «يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان: ١٣)، بل إن الله عز وجل خاطب خاتم أنبيائه وسيد أصفيائه وإمام أتقيائه بقوله تعالى بأسلوب القسم المؤكد: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الزمر: ٦٥)، وقال بعد هذه الآية مباشرة: «بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» (الزمر: ٦٦)، آمرًا نبيه ﷺ بتوحيده وعدم الإشراك به بتقديم لفظ الجلالة المفعول به على الفعل، وهذا أسلوب يدل على الاختصاص، وقد أُمرنا أن نقرأ في كل ركعة من ركعات صلاتنا سورة الفاتحة، ولا تقوم صلاة بغيرها؛ وفيها: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أي: نخصك وحدك بالعبادة، ولا نشرك بعبادة ربنا أحدًا ولا شيئًا، ونخصك وحدك بالاستعانة فنستعينك وحدك ولا نستعين غيرك من أحد ولا شيء.

وإن بعض المسلمين يتوجهون إلى بعض أهل القبور بالاستغاثة والاستعانة وطلب الشفاء وكشف البلوى، إلى غير ذلك، وهذا فيه شرك في الألوهية بطلب ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من المخلوق الذي لا يملك ضرًا ولا نفعًا، وفي الحقيقة إن من يطلب من مخلوق أن يمده بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى قد أشرك ذلك المخلوق في ربوبية الله تعالى؛ لأنه لم يطلب منه إلا وقد اعتقد أنه يملك له ما يطلبه منه، وإلا لو كان يعلم علم اليقين أنه مخلوق مثله لا يملك نفقعًا ولا ضرًا ما طلب منه قضاء حاجته ولا دفع مضرته، وكذلك قد أشرك في أسماء الله تعالى وصفاته حيث أعطاه بعض صفات الخالق؛ لأنه يعلم أن غيره كثيرون يستغيثون بهذا المخلوق الذي يستغيث به في اللحظة نفسها فهو يعتقد أنه لا يشغله سمعه إياه عن سمع غيره، وأنه يقدر على عطاء الكل في وقت واحد، وأن خزائنه لا تغيض، وهذا ليس إلا لله تبارك وتعالى، وبعض هؤلاء يغالي في وصف الرسول ﷺ ومدحه بمنحه بعض صفات الله تعالى، وفي حقيقة الأمر قد لا يقصدون الوقوف بذلك عند شخص رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يتوصلوا من وراء ذلك لإعطاء أوليائهم هذه الأوصاف، ويزعمون محبة رسول الله ﷺ، وهم أبعد الناس عن سنته ﷺ.

ومن المعلوم أن المحب لمن يحب مطيع، ولكنهم يرمون أهل السنة المتمسكين بهدي رسول الله ﷺ بعدم محبة الرسول ﷺ، وهم بذلك يفترون على الله الكذب، ووراء عوام المسلمين وجهلتهم أناس ينتمون إلى العلم يزينون لهم الباطل، ويحسنون إليهم الشرك بالله تعالى ويهونون من خطره، ونخشى على هؤلاء أن يصدق فيهم قول الله تعالى: «وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ» (الشعراء: ٩٢ - ٩٩)، فيقول الذين أشركوا عمن أضلوهم وزينوا لهم الشرك: «وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ».

وقد جاء في بعض روايات الحديث: «فيغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا». وفي رواية أخرى: «فيغفر لكل عبد مؤمن». وهناك أحاديث كثيرة في بيان عظم الشرك وأنه أعظم الذنوب؛ منها ما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «أي الذنب أعظم ؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك».

وقوله ﷺ : «إلا عبدًا كانت بينه وبين أخيه شَحْنَاءُ». وفي رواية: «إلا امرءًا كانت بينه وبين أخيه شحناء». فأما العبد والمرء فهما بمعنى واحد، ويشمل الذكر والأنثى من كل عبد مؤمن بالله تعالى موحد لا يشرك به أحدًا، وأما الشحناء؛ فقال في النهاية: العداوة. وفي المعجم الوسيط: (الشحناء): الحقد والعداوة والبغضاء.

وأما حديث: «يغفر الله لكل عبد ما خلا مشركًا أو مشاحنًا». فقال في النهاية: قال الأوزاعي: أراد بالمشاحن هنا صاحب البدعة المفارق للجماعة. وجاء في بعض روايات حديث أبي هريرة؛ حديثنا هذا: «إلا المتهاجرين»، وفي رواية الترمذي: «إلا المهتجرين». وقال الترمذي: ومعنى قوله: «المهتجرين» يعني: المتصارمين، وهذا مثل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام».

وقوله ﷺ : «أنظروا هذين حتى يصطلحا» ثلاث مرات للتأكيد، وأنظروا: أي أخروا، وفي رواية الترمذي: «ردوا هذين». قال الترمذي: ويروى في بعض الحديث: «ذروا هذين»، وفي رواية لمسلم: «اركوا هذين». قال النووي: «اركو» هو بالراء الساكنة وضم الكاف، والهمزة في أوله همزة وصل، أي أخروا، يقال: ركاه يَرْكوه: رَكْوًا إذا أخره، قال صاحب

التحرير: ويجوز أن يرويه بقطع الهمزة المفتوحة من قولهم: أَرْكَيْتُ الأمر إذا أخرته، وذكر غيره أنه يروي بقطعها ووصلها، والشحناء: العداوة كأنه شُحن بغضًا حتى امتلأ. اهـ.

وفي رواية: «اتركوا هذين»، قال أبو عمر بن عبد البر في «الاستذكار: «اركوا» معناه: اتركوا، وقيل: معناه أخروا هذين، يقال: أخّر هذا وانْظِرْ هذا، وأرْجِ هذا، وأرْكِ هذا؛ كل ذلك بمعنى واحد.

وقوله: «حتى يفيئا» قال ابن عبد البر: معناه حتى يرجعا إلى ما عليه اهل المؤاخاة والمصافاة من الأخلاء والأولياء على ما كانا عليه من قبل أن يتهاجرا. قال: والفيء الرجوع والمراجعة؛ قال الله عز وجل: «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ». وقال في الذين يؤلون من نسائهم: «فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أي: رجعوا إلى ما كان عليه من وطء أزواجهم، وَحَنَّثُوا انفسهم في أيمانهم. اهـ.

قال ابن عبد البر: وفيه (أي في الحديث) تعظيم ذنب المهاجرة والعداوة والشحناء لأهل الإيمان، وهم الذين يأمنهم الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، المصدقون بوعد الله تعالى ووعيده، المجتنبون كبائر الإثم والفواحش. والعبد المسلم من وصفنا حاله، ومن سلم المسلمون من لسانه ويده؛ فهؤلاء لا يحل لأحد أن يهجرهم، ولا أن يبغضهم، بل محبتهم دين، وموالاتهم زيادة في الإيمان واليقين. وفي هذا الحديث أيضًا دليل على أن الذنوب بين العباد؛ إذا تساقطوها وغفرها بعضهم لبعض، أو خرج بعضهم لبعض عما لزمه منها، سقطت المطالبة من الله عز وجل بدليل قوله ﷺ في هذا الحديث: «حتى يصطلحا، فإذا اصطلحا غفر لهما».

هذا، وقد كثر بين بعض المسلمين التباغض والتدابر والهجران، وذلك لأسباب دنيوية، وأمور مادية، بل ربما كان التهاجر بين الأقارب والأرحام وتنعدم بينهم المودة والتراحم، بسبب البعد عن التخلق بأخلاق الإسلام التي يُقتدى فيها برسول ﷺ، ويسود سوء الخلق، مع أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تنص على تحريم التدابر والتخاصم والتقاطع، ومن ذلك قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...» (الحجرات: ١٠)، وقوله تعالى: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا» (النساء: ٣٦)، فعطف الأقارب على الوالدين، وعطف على الأقارب اليتامى والمساكين، والجيران والزوجات وأبناء السبيل وملك اليمين ليشمل الإحسان المجتمع كله، والآيات في هذا المعنى كثيرة، فيها الوصية بالوالدين والأولاد وغيرهم حتى يعيش الناس في أمن وأمان وحسن جوار وحسن خلق، وفي أحاديث النبي ﷺ التصريح بالنهي عن التدابر والتقاطع والتهاجر، ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». متفق عليه. وكذا حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». متفق عليه.

ولقد حث رسول الله ﷺ على التواد والتعاطف والتراحم بين المسلمين، وأنهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى بَعْضُهُ، اشتكى كله، من ذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا». متفق عليه، وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». متفق عليه، وفي رواية: «المؤمنون كرجل واحد؛ إن اشتكى رأسُه، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وفي رواية أخرى: «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عَيْنُهُ، اشتكى كله، وإن اشتكى رأسُهُ اشتكى كله».

ألا فليبادر المسلمون إلى التواصل والتحاب والتواد والتراحم، وليسرع كل متخاصمين متدابرين إلى الصلح؛ لأن الصلح خير، وحتى ترفع أعمالهما مع عباد الله الصالحين، وذلك لقول النبي ص في بعض روايات هذا الحديث: «فإذا اصطلحا غفر لهما». ولقول الله تبارك وتعالى في الزوجين: «فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا والصلح خير». وغير الزوجين يجب عليهم أن يصلحوا حتى تفتح لهم أبواب الجنة لرفع الأعمال وقبولها وإعطاء الثواب الجزيل عليها، وكثرة الصفح والغفران، ورفع الدرجات والمنازل فيها.

نسأل الله تعالى أن يشفي صدور المؤمنين، وأن ينزع من قلوب المسلمين الغل والحقد والحسد والبغضاء والعداوة والشحناء، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.







الحلقة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... وبعد:

فقد تكلمنا في العدد الماضي عن تعريف النجاسة، وحكم إزالتها، وكذا تقسيم النجاسة، وذكرنا النجاسات المتفق عليها، وفي هذا العدد نعرض للأعيان المختلف في نجاستها لمعرفة أقوال أهل العلم فيها، وبيان أدلتهم، مع بيان الأرجح من هذه الأقوال.

إعداد: د/ حمدي طه

١- نجاسة الكلب:

للعلماء فيه ثلاثة أقوال معروفة:

أحدها: أنه نجس كله حتى شعره، وهو قول الشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه وعليه أكثر أصحابه.

الثاني: أنه طاهر حتى ريقه، وهو قول مالك في المشهور عنه، وداود الظاهري.

الثالث: أن ريقه نجس، وأن سائر جسده وشعره طاهر، وهو مذهب أبي حنيفة المشهور عنه، وعليه أكثر أصحابه، وهو الرواية الأخرى عن أحمد واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية. (مجموع الفتاوى ٢١/ ٣٤٩، والفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ١/ ٣٠٥).

واحتج من قال بنجاسة الكلب بقوله ﷺ: «إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا». متفق عليه من حديث أبي هريرة، قال الأمير الصنعاني: وهو ظاهر في نجاسة فمه، والحق به سائر بدنه قياسًا عليه، وذلك لأنه إذا ثبت نجاسة لعابه، ولعابه جزء من فمه، أو هو عرق فمه، ففمه نجس، إذ العرق جزء مستحلب من البدن، فكذلك بقية البدن. اهـ. (سبل السلام ١/ ٥٢).

قلت: والفم أطيب أجزائه لكثرة ما يلهث فبقيته أولى.

أما القائلون بعدم نجاسة الكلب فقالوا: إن الأمر بالغسل للتعبد لا للنجاسة، إذ إنه لو كان للنجاسة لاكتفى بما دون السبع، إذ نجاسته لا تزيد على العذرة، وأجيب عنه: بأن أصل الحكم، وهو الأمر بالغسل معقول المعنى، ممكن التعليل بأنه للنجاسة، والأصل في الأحكام التعليل، والتعبد إنما هو في العدد فقط. (سبل السلام ١/ ٥٢).

أما القائلون بأن فم الكلب وحده أو لعابه ورجيعه هو النجس فقالوا: إن الأصل في الأعيان الطهارة، فلا يجوز تنجيس شيء ولا تحريمه إلا بدليل، كما قال تعالى: «وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ» (الأنعام: ١١٩)، وفي السنن عن سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعًا ومنهم من جعله موقوفًا عليه أنه قال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه». رواه الترمذي (١٧٢٦)، وابن ماجه (٣٣٦٧).

وإذا كان كذلك، فإن الأحاديث الواردة كلها ليس فيها إلا ذكر الولوغ، ولم يذكر سائر الأجزاء، فتنجيسها إنما هو بالقياس وهو ليس بصحيح هنا. (مجموع الفتاوى ٢١/ ٣٥٠ بتصرف).

٢ الدم:

ذهب جمهور أهل العلم إلى نجاسة دم الآدمي غير الشهيد؛ دم الحيوان غير المائي، الذي انفصل عنه حيًا أو ميتًا، إذا كان مسفوحًا - أي جاريًا - كثيرًا، أما قليل الدم فمعفو عنه. (الفقه الإسلامي وأدلته ١/ ٣٠٣).

وذهب بعض أهل العلم إلى طهارة الدم. (مذكرة الفقه لابن عثيمين ١/١٥٠).

واحتج القائلون بنجاسة الدم بأدلة منها قوله تعالى: «أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ» (الأنعام: ١٤٥)، فقوله: «فَإِنَّهُ رِجْسٌ» صيغه مؤكدة على أنه رجس، والرجس: النجس. (موسوعة الفتاوى الإسلامية للشنقيطي نقلاً عن فتاوى علماء البلد الحرام ص٩٤).

وكذلك قوله ﷺ للمرأة المستحاضة: «إذا أدبرت الحيضة فاغسلي عنك الدم وصلي». متفق عليه من حديث عائشة.

واحتج من قال بعدم النجاسة بأن الرسول ﷺ لم يأمر بغسل دماء الشهداء، ولو كانت نجسة لغسلها، وأن المسلمين كانوا يصلون في جراحاتهم، ولا سيما الرجلان اللذان بعثهما النبي ﷺ ليكونا عينًا على العدو، فجعل أحدهما يصلي والثاني ينظر، فطعن الآخر وهو يصلي، ولكنه بقي في صلاته حتى أتمها. (أخرجه الحاكم ١/ ٥٨).

فلو كان الدم نجسًا لما أتم صلاته. وقالوا: إن الأصل الطهارة، ولا دليل على نجاسة الدم، وقالوا: إن قوله تعالى في الآية: إنه رجس يعود على أقرب مذكور وهو الخنزير. (مذكرة الفقه ١/ ١٤٩).

ورد الجمهور بأن الاستدلال بالحديث السابق لا يستقيم لأن هذا الدم معفو عنه كدم المستحاضة، فهو نجس، وإنما عفي عنه لمكان الغلبة، فدم المستحاضة نجس، ومع ذلك أمر النبي ﷺ أن تصلي ودمها يثعب معها. (موسوعة الفتاوى الإسلامية).

والأرجح ذهب جمهور العلماء من نجاسة الدم المسفوح لقوة أدلتهم.

٣ الخمر

ذهب جمهور أهل العلم منهم الأئمة الأربعة إلى نجاسة الخمر نجاسة عينية، وذهب البعض كربيعة الرأي والشوكاني إلى طهارة الخمر العينية وأن نجاستها نجاسة معنوية، والخمر تشمل كل مائع مسكر عند الجمهور، واحتجوا على نجاستها بقوله تعالى: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (المائدة: ٩٠)، والرجس في اللغة: الشيء القذر والنتن. (الموسوعة الفقهية ٥/ ٢٧).

وقالوا: لا يضر قرن الميسر والأنصاب والأزلام بها مع أن هذه الأشياء طاهرة؛ لأن الثلاثة خرجت بالإجماع فبقيت الخمر على مقتضى الكلام.

قال النووي: «ولا يظهر من الآية دلالة ظاهرة لأن الرجس القذر ولا يلزم من ذلك نجاسته، وكذا الأمر بالاجتناب لا يلزم منه النجاسة، المنع من الخمر لكونها سببًا للعداوة والبغضاء، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة كما صرحت به الآية الكريمة، وأقرب ما يقال ما ذكره الغزالي: أنه يحكم بنجاستها تغليظًا وزجرًا عنها قياسًا على الكلب وما ولغ فيه». (المجموع ٢/ ٥٨٢).

واحتج من قال بعدم نجاستها بأن الأصل في الأشياء الطهارة حتى يقوم دليل على النجاسة، والجواب عن الآية من وجهين:

الأول: أنها قرنت بالأنصاب والأزلام، والميسر، ونجاسة هذه الأشياء معنوية.

الثاني: أن الرجس في الآية قيد بقوله: «مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» فهو رجس عملي وليس رجسًا عينيًا. (الشرح الممتع لابن عثيمين ١/ ٣٦٧، وسبل السلام ١/ ٨٢).

واحتجوا كذلك بحديث أنس رضي الله عنه: أن الخمر لما حُرمت خرج الناس، وأراقوها في الأسواق. رواه البخاري.

وجه الدلالة أن أسواق المسلمين لا يجوز أن تكون مكانًا للنجاسة، فلو كانت نجسة لما أراقها المسلمون في الأسواق، وكذلك ما رواه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً جاء براوية خمر، فأهداها للنبي ﷺ، فقال: أما علمت أنها حُرمت ؟ فساره - أي أسر إليه - رجل أن بعها، فقال النبي

ﷺ: «إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه». ففك الرجل الراوية ثم أراقها بحضرة النبي ﷺ.

ووجه الدلالة أن النبي ﷺ لم يأمر الرجل بغسل الراوية، وهذا كان بعد تحريم الخمر، فلو كانت الخمر نجسة لأمره بغسلها كما أمرهم بغسل القدور من لحم الحُمر الأهلية كما في حديثي أنس وسلمة بن الأكوع. (الشرح الممتع ١/ ٣٦٦، ٣٦٧ بتصرف).

٤- بول وروث ما يؤكل لحمه:

هناك اتجاهان فقهيان: أحدهما القول بالطهارة، والثاني القول بالنجاسة؛ الاتجاه الأول للمالكية والحنابلة، والثاني للحنفية والشافعية. (الفقه الإسلامي وأدلته ١/ ٣١٢).

واحتج من قال بالنجاسة لذلك بمسلكين أثري ونظري، أما الأثري فحديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول». متفق عليه.

والبول اسم جنس محلى باللام فيوجب العموم فيشمل بول الإنسان وبول غيره، وإذا كان النبي ﷺ قد أخبر بالعذاب من جنس البول، وجب الاحتراز والتنزه عن جنس البول. وأجيب عنه بأن المراد بول الإنسان كما في صحيح البخاري بلفظ: «كان لا يستنزه من بوله». (مجموع الفتاوى ٢١/ ٣١٠).

قال البخاري: لم يذكر سوى بول الناس، فالتعريف في البول للعهد.

المسلك النظري: وهو من ثلاثة أوجه:

أحدها: القياس على البول المحرم فنقول: بول وروث فكان نجسًا كسائر الأبوال.

الثاني: إذا فحصنا وبحثنا عن الحد الفاصل بين النجاسات والطهارات، وجدنا ما استحال في أبدان الحيوان عن أغذيتها، فما تحول لمنفعة أعضاء الجسم فهو طيب الغذاء، وما فضل فهو خبيثه.

الثالث: أنه في الدرجة السفلى من الاستخباث كما شهد به أنفس الناس وليس لنا إلا طاهر أو نجس وإذا فارق الطهارات دخل في النجاسات. (مختصرًا من مجموع الفتاوى ٢١/ ٣١٠، ٣١١).

وقد أفاض شيخ الإسلام في بيان ضعف هذه الأقيسة ببحث ماتع لا يتسع المقام لذكره. (انظر مجموع الفتاوى ٢١/ ٣١٢ وما بعدها).

واحتج من قال بطهارة أبوال وأرواث مأكول اللحم بأدلة أهمها:

١- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رهطًا من عكل أو قال عرينة قدموا فاجتووا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بلقاح وأمرهم أن يخرجوا فيشربوا من أبوالها وألبانها. متفق عليه.

فدل ذلك على طهارة أبوال الإبل بالنص، وأما غيرها مما يؤكل لحمه فبالقياس. (فتح الباري ١/ ٤٠٤ مختصرًا).

واستدلوا لصحة هذا الاستدلال بقوله ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاؤكم فيما حرم عليكم». (علقه البخاري في الأشربة: الفتح ١٠/ ٨١، ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ١٤٣١).

قالوا: إن التحريم يستلزم النجاسة، والتحليل يستلزم الطهارة، فتحليل التداوي بها دليل على طهارتها، فأبوال الإبل وما يلحق بها طاهرة. (نيل الأوطار للشوكاني ١/ ١٥٨).

٢- أن الأصل الجامع طهارة جميع الأعيان حتى تتبين نجاستها لثلاثة أوجه:

أحدها: أن الطاهر ما حل ملابسته ومباشرته وحمله في الصلاة والنجس بخلافه.

الثاني: أنه إذا ثبت أن الأصل جواز أكلها وشربها فلأن يكون الأصل ملابستها ومخالطتها الخلق أولى وأحرى، وذلك لأن الطعام يخالط البدن فيصير مادة وعنصرًا له، فإذا كان خبيثًا صار البدن خبيثًا، وأما ما يماس البدن ويباشره فيؤثر في البدن من ظاهر، لكن تأثيرها دون تأثير المخالط، فإذا حل مخالطة شيء فحل مباشرته أولى.

الثالث: أن الفقهاء كلهم اتفقوا على أن الأصل في الأعيان الطهارة، وأن النجاسات محصاة مستقصاة وما خرج عن الضبط والحصر فهو طاهر. (مجموع الفتاوى بتصرف ٢١/ ٣٠٨).

وبعد هذا العرض لأدلة الفريقين نرى أن القول بطهارة أبوال وأوراث مأكول اللحم أرجح، والله أعلم.

٥- المني:

وهو الماء الغليظ الدافق الذي يخرج عند اشتداد الشهوة. (المغني لابن قدامة ١/ ١٩٩).

وفي نجاسته وطهارته رأيان إن كان من الآدمي،

أما غير الآدمي فهو نجس عند الحنفية والمالكية، طاهر عند الحنابلة إن كان من مأكول اللحم، والأصح عند الشافعية: طهارة مني غير الكلب والخنزير وفرع أحدهما. (الفقه الإسلامي وأدلته ١/ ٣١٥).

وما يهمنا هنا البحث فيما يتعلق بمني الآدمي: قال الحنفية والمالكية: المني نجس يجب غسل أثره، إلا أن الحنفية قالوا: يجب غسل رطبه، فإذا جف على الثوب، أجزأ فيه الفرك. (المصدر السابق).

واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ، ثم يذهب فيصلي فيه». رواه الجماعة إلا البخاري، وفي لفظ متفق عليه: «كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ ثم يخرج إلى الصلاة وأثر الغسل في ثوبه بقع الماء». قالوا: والغسل لا يكون إلا لشيء نجس، وأجيب بأنه لم يثبت الأمر بغسله من قوله ﷺ في شيء من أحاديث الباب، وإنما كانت تفعله عائشة ولا حجة في فعلها حتى لو علم النبي ﷺ بفعلها لأن غاية ما هنالك أنه يجوز غسل المني من الثوب، وهذا مما لا خلاف فيه. (نيل الأوطار ١/ ١٦٨).

وقال من انتصر لمذهب الحنفية: والصواب أن المني نجس يجوز تطهيره بأحد الأمور الواردة والماء لا يتعين لإزالة جميع النجاسات. (المصدر السابق بتصرف).

واحتج من قال بطهارة مني الآدمي وهم الشافعية والحنابلة بأدلة منها:

١- أن الأصل في الأشياء الطهارة، فيجب القضاء بطهارته حتى يجيئنا ما يوجب القول بأنه نجس.

٢- أن عائشة كما ثبت عند مسلم كانت تفرك اليابس من مني النبي ﷺ، ولو كان نجسًا ما اكتفت فيه بالفرك، وقال النبي ﷺ للمرأة في دم الحيض، يصيب الثوب: تحته، ثم تقرصه بالماء، ثم تنضحه، ثم تصلي فيه. فلا بد من الغسل بعد الحت، ولو كان نجسًا لابد من غسله بكل حال، وبما ثبت عنهما عند أحمد في مسنده: كان رسول الله ﷺ يسلت المني من ثوبه بعرض الإذخر ثم يصلي فيه. وهذا من خصائص المستقذرات، لا من أحكام النجاسات. (مجموع الفتاوى ٢١/ ٣٣٤، والشرح الممتع لابن عثيمين).

٣- أن هذا الماء - أي المني - أصل عباد الله المخلصين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وتأبى حكمة الله تعالى أن يكون أصل هؤلاء البررة نجسًا. (الشرح الممتع).

وما ذهب إليه الشافعية والحنابلة من طهارة بول الآدمي هو الأقوى دليلاً، وهو الأرجح، والله أعلم.

٦- رطوبة فرج المرأة: وهي ماء أبيض متردد بين المذي والعرق. (مغني المحتاج للخطيب الشربيني ١/ ٢٢٩). وقد اختلف الفقهاء في نجاسة رطوبة فرج المرأة، فذهب المالكية والصاحبان من الحنفية إلى نجاستها، وذهب أبو حنيفة والحنابلة إلى طهارتها، وقسم الشافعية رطوبة الفرج إلى ثلاثة أقسام: طاهر قطعًا، وهي ما تكون في المحل الذي يظهر عند جلوس المرأة، وهو الذي يجب غسله في الغسل والاستنجاء، ونجسة قطعًا وهي الرطوبة الخارجة من باطن الفرج، وطاهرة على الأصح وهي ما يصله ذكر المجامع. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٢/ ٢٦٠ بتصرف).

ومن قال بنجاسة رطوبة فرج المرأة علل ذلك بأن جميع ما خرج من السبيل، فالأصل فيه النجاسة إلا ما قام الدليل على طهارته، وأجيب عنه بأن في هذا القول من الحرج والمشقة ما لا يعلمه إلا الله، خصوصًا من ابتلي به من النساء، ومن قال بالطهارة علل ذلك بأن الرجل يجامع أهله، ولا شك في أن هذه الرطوبة سوف تعلق به، ومع ذلك لا يجب عليه أن يغسل ذكره، وهذا كالمجمع عليه من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا عند الناس. (الشرح الممتع ١/ ٣٩١).

فعلى هذا من قال بنجاسة رطوبة فرج المرأة عليه أن يأتي بالدليل على ذلك، وخاصة وقد سبق أن أهل العلم اتفقوا على أن الأصل الطهارة حتى يأتي دليل ناقل عن هذا الأصل.

هذه أهم أنواع النجاسات المختلف فيها، وقد تركت أنواعًا أخرى لعدم الإطالة ولقلة الحاجة إليها، وبقي لنا الحديث عن كيفية تطهير النجاسات وهو ما سنتناوله في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى، وهو من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار



إعداد/ علي حشيش

١٧٦٢- عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُ أُمّتي الْقَرْنُ الّذينَ بُعِثْتُ فيهِمْ، ثُمَّ الّذين يَلُونَهُمْ». والله أعلم أذكر الثالث أم لا، قال: «ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ(١)، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أن يُسْتَشْهَدُوا». م (٢٥٣٤)، حم (٧١٢٦).

١٧٦٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألَ رَجُلُ النبيَّ ﷺ: أيُّ النَّاسِ خيْرٌ؟ قال: «القَرْنُ الّذي أنا فيه، ثُمَّ الثّاني، ثُمَّ الثّالثُ». م(٢٥٣٦)، حم(٢٥٢٨٨).

١٧٦٤- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، قَبْلَ أنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: «تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّما عِلْمُها عِنْدَ الله، وَأُقْسِمُ بِاللّه، مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ». م(٢٥٣٨)، حم(١٤٤٥٨)، (١٤٤٨٥)، (١٥٠٦٠)، (١٥١٣٠)، حب (٢٩٨٧)، (٢٩٩٠).

١٧٦٥- عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: لما رَجَعَ النّبيُّ ﷺ مِنْ تَبُوكَ سَأَلُوهُ عَنِ السّاعَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه: «لاَ تَأتي مِائَةُ سَنَةٍ، وَعَلَى الأرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةُ الْيَوْمَ». م (٢٥٣٩)، حب (٢٩٨٦).

١٧٦٦- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال نبيُّ الله ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابي، لا تَسُبُّوا أَصْحَابي، فَوَالّذي نَفْسي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصيفَهُ». م(٢٥٤٠)، جه (١٦١).

١٧٦٧- عن عمرَ رضي الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ رَجُلاً يَأْتيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لاَ يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فدعا اللهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إلاّ مَوْضِعَ الدّينَارِ أو الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغفِرْ لَكُمْ». م(٢٥٤٢)، حم (٢٦٦).

١٧٦٨- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فاخْرُجْ مِنْهَا». فَمَرَّ بِرَبِيعَةَ، وعبدِ الرحمن ابْنَيْ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ يتنازعانِ في موضعِ لَبِنَةٍ فخرجَ منها. م(٢٥٤٣)، حم (٢١٥٧٦)، (٢١٥٧٧)، حب (٦٦٧٦)، هق (٦/٣٢١).

١٧٦٩- عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه قال: بعث رسولُ الله ﷺ رجلاً إلى حَيٍّ مِنْ أحياءِ العَرَبِ فَسَبُّوهُ وضَرَبُوهُ، فجاءَ إلى رسول الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ أَتَيْتَ، مَا سَبُّوكَ وَلاَ ضَرَبُوكَ». م(٢٥٤٤).

١٧٧٠- عن ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لاَ يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً». م(٢٥٤٧)، حم (٥٦٢٣)، ت(٢٨٧٢)، حب(٦١٧٢)، هق (١٠/١٣٥).

١٧٧١- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ». قيلَ: مَنْ يا رسولَ الله؟ قال: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ». م(٢٥٥١)، حم(٨٥٦٥).

١٧٧٢- عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ». م(٢٥٥٢)، حم(٥٦١٢)، (٥٦٥٣)، (٥٧٢١)، (٥٨٩٦)، د(٥١٤٣)، ت(١٩٠٣)، حب(٤٣٠)، (٤٣١).

١٧٧٣- عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الأنصاريِّ، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البرِّ والإثم؟ فقال: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكِ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». م(٢٥٥٣)، حم(١٧٦٤٨)، (١٧٦٤٩)، (٥٧٦٥٠)، ت(٢٣٨٩)، حب(٣٩٧)، هق (١٠/١٩٢).

١٧٧٤- عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ». (٢٥٥٥)، حم (٢٤٣٩٠).

١٧٧٥- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رَجُلاً قال: يا رسولَ الله، إن لي قَرابَةً، أصِلُهُم ويقطَعُوني، وأُحْسِنُ

إليهم ويُسيئون إليَّ، وأَحْلُمُ عنهم ويَجْهَلُون عليَّ، فقال: «لئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّما تُسِفُّهُمُ الْمَلّ(٢)، ولاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ». م(٢٥٥٨)، حم (٧٩٩٨)، (٩٣٥٤)، حب (٤٥٠، ٤٥١).

١٧٧٦- عن عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَحِلُّ للمؤمنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ». م(٢٥٦١).

١٧٧٧- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ ثَلاَثٍ». م(٢٥٦٢)، حم(٨٩٢٨).

١٧٧٨- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: قال رسولُ الله ﷺ : «لا تَحَاسَدُوا، ولاَ تَنَاجَشُوا، ولاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا»، يُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثلاثَ مرات، «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ». م(٢٥٦٤)، حم (٧٨٣٢)، (٨٧٣٠)، (١٠٩٦٠)، جه (٣٩٣٣)، (٤٢١٣)، حب (٣٩٤).

١٧٧٩- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيئًا، إلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصطلِحَا». م(٢٥٦٥)، ط(١٦٨٦)، (١٦٨٧)، حم (٧٦٤٣)، (٨٣٦٩)، ت(٧٤٧)، (٢٠٢٣)، جه (١٧٤٠)، حب (٣٦٤٤).

١٧٨٠- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي». م(٢٥٦٦)، ط(١٧٧٦)، حم (٨٤٦٣)، (٨٨٤٠)، حب(٥٧٤).

١٧٨١- عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه: قالَ رسولُ الله ﷺ: «عَائِدُ الْمَرِيضِ في مَخْرَفَةِ(٣) الجَنَّةِ حتى يَرْجِعَ». م(٢٥٦٨)، حم (٢٢٤٣٦)، (٢٢٤٣٨)، (٢٢٤٥٢)، (٢٢٥١٤)، (٢٢٥٠٢)، (٢٢٤٦٧)، ت(٩٦٧)، (٩٦٨)، هق (٣/٣٨٠).

١٧٨٢- عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: ما رَأَيْتُ رَجُلاً أَشَدَّ عَلَيْهِ الوَجَعُ مِنْ رسول الله ﷺ. م(٢٥٦٩).

١٧٨٣- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: «مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ» بَلَغَتْ مِنَ المسلمين مَبْلَغًا شَدِيدًا، فقال رسول الله ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصابُ بِهِ المُسْلِمُ كَفَّارةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا أو الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا». م(٢٥٧٤)، حم (٧٣٩٠)، ت(٣٠٣٨).

١٧٨٤- عن جابرِ بنِ عبد الله رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ دخلَ على أُمِّ السائبِ، أو أمِّ المُسيَّب، فقال: «مَا لَك يَا أُمَّ السَّائبِ، أَوْ يَا أُمَّ المُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ(٤)؟» قالت: الحُمَّى، لا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فقال: «لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنَّها تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الكيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ». م(٢٥٧٥)، حب (٢٩٣٨).

١٧٨٥- عن جابرِ بنِ عبد الله رضي اللهُ عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلماتٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، واسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ». م(٢٥٧٨).

١٧٨٦- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ». م(٢٥٨٢)، حم(٧٢٠٨).

١٧٨٧- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ، فَعَلَى البَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ». م(٢٥٨٧)، حم(٧٢٠٩)، (١٠٣٣٣)، (١٠٧٠٨)، د(٤٨٩٤)، ت(١٩٨١)، حب (٥٧٢٨)، (٥٧٢٩)، هق (١٠/٢٣٥).

١٧٨٨- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ : «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ». م(٢٥٨٨)، حم(٧٢١٠)، (٩٠١٨)، ت(٢٠٢٩)، حب(٣٢٤٨).

١٧٨٩- عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ ؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ في أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قال: «إِنْ كَانَ فيهِ مَا تَقُولُ فَقَد اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ». م(٢٥٨٩)، حم (٧١٤٩)، (٨٩٩٥)، (٨٩٩٠)، (٩٠١٩)، د(٤٨٤٧)، ت(١٩٣٤)، حب (٥٧٥٨)، (٥٧٥٩).

الهوامش:

١- السِّمَانَةُ: كثرة اللحم والشحم.

٢- المَلُّ: الرماد الحار.

٣- المخرفة: سكَّةٌ بين صفين من نخل يخترف من أيهما شاء.

٤- تُزَفْزِفِينَ: ترتعدين.



إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلا يزال حديثنا متصلاً حول قصة مريم وآية ولادة عيسى عليه السلام، وسنتكلم في هذا العدد بإذن الله تعالى حول الآية التاسعة والأربعين من سورة آل عمران.

قال تعالى: «وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (آل عمران: ٤٩).

قوله تعالى: «وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ»

«وَرَسُولاً» الواو حرف عطف، «وَرَسُولاً» منصوب بفعل محذوف تقديره: ونجعله رسولاً، وهنا بحث جيد يجدر بنا أن نذكره في هذا المقام وهو الفرق بين النبي والرسول وقد تعددت الأقوال في الفرق بين النبي والرسول، وكلها لا تخلو من مناقشة، ولا تسلم من اعتراضات ترد عليها وسأذكر هنا بعض أقوال أهل العلم في هذه المسالة:

قال ابن عثيمين رحمه الله: الرسول: هو الذي أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، فإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبي، هذا هو المشهور عند عامة العلماء رحمهم الله، وقيل: إن النبي لم يوح إليه بشرع وإنما كان مؤيدًا لشريعة قبله، يعني يوحى إليه بتأييد الشريعة التي قبله، فكانت الأنبياء فيما سبق كالعلماء في هذه الأمة، وقد رجح رحمه الله تعريف الجمهور في النبي والرسول، وقد رد هذا القول العلامة الشنقيطي في أضواء البيان فقال رحمه الله: «إن ما اشتهر على السنة أهل العلم، من أن النبي هو من أوحي إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه، وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح، لأن قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ» الآية، يدل على أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول، هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة كما بينه تعالى بقوله: «يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» الآية.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فروقًا كثيرة بين النبي والرسول، وهذه الفروق مبنية على الكتاب والسنة، فخرج تفريقه بين النبي والرسول من أرجح التفريقات ومن أسلمها من الانتقادات.

ويمكن تلخيص هذه الفروق فيما يلي:

١- النبي:

هو من ينبئ بما أنباه الله به، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه انه حق كالعالم، ولهذا قال النبي ﷺ عن العلماء: «العلماء ورثة الأنبياء». إذ النبي يعمل بشريعة من قبله، فقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ» دليل على أن النبي مرسل فالأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم، لكونهم مؤمنين بهم، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول، وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قضية معينة، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية ما معنى يطابق القرآن.

فالأنبياء ينبئهم الله، فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله من الخبر والأمر النهي.

٢- الرسول:

هو من أنباه الله وأرسله إلى من خالف أمره ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول.

فالرسل من أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ولا بد أن يكذب الرسلَ قومٌ، قال تعالى: «كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ»، وقال تعالى: «مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ»، فإن الرسل ترسل إلى مخالفين، فيكذبهم بعضهم.

والرسول يسمى رسولاً على الإطلاق، لأنه يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف عليه السلام كان رسولاً، وكان على ملة إبراهيم عليه السلام وداود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة.

والإرسال: اسم عامٌ يتناول إرسال الملائكة، وإرسال الرياح وإرسال الشياطين، وإرسال النار، قال تعالى: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ» (الرحمن: ٣٥)، وقال تعالى: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ» (فاطر: ١)، فهنا جعل الملائكة كلهم رسلاً، والملك في اللغة: هو حامل الألوكة وهي الرسالة، وقد قال في موضع آخر: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» (الحج: ٧٥)، فهؤلاء الذين يرسلهم بالوحي، كما قال: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ» (الشورى: ٥١)، وقال تعالى: «أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» (مريم: ٨٣).

لكن الرسول المضاف إلى الله: إذا قيل: رسول الله، فهم مَنْ يأتي برسالة من الله، من الملائكة، والبشر، كما قال: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ»، وقالت الملائكة: «يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ» (هود: ٨١).

وأما عموم الملائكة، والرياح، والجن: فإن إرسالها لتفعل فعلاً لا لتبلغ رسالة، قال تعالى: «اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» (الأحزاب: ٩).

فرسل الله الذين يبلغون عن الله أمره ونهيه: هم رسل الله عند الإطلاق، وأما من أرسله الله ليفعل فعلاً بمشيئة الله وقدرته: فهذا عامٌ يتناول كل الخلق، كما أنهم كلهم يفعلون بمشيئته وإذنه المتضمن لمشيئته، لكن أهل الإيمان يفعلون بأمره، ما يحبه ويرضاه، ويعبدونه وحده، ويطيعون رسله، والشياطين يفعلون بأهوائهم، وهم عاصون لأمره، متبعون لما يسخطه وإن كانوا يفعلون بمشيئته وقدرته. وأما حكمته في إرسال بشر، فقد ذكر أنه من جنسهم، وأنه بلسانهم فهو أتم في الحكمة والرحمة، وذكر أنهم لا يمكنهم الأخذ عن الملك لأن رؤية الملائكة أمر صعب وخطير وأنه لو نزل ملكاً، لكان يجعله في صورة بشر، ليأخذوا عنه، قال تعالى: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ» (الأنعام: ٩)، ولهذا لم يكن للملائكة إلا أن تأتي في صورة الآدميين، كما كان جبريل يأتي في صورة دحية الكلبي، وكما أتى مرة في صورة أعرابي.

ولما جاءوا إبراهيم وامرأته حاضرة، كانوا في صورة بشر، وبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، قال تعالى: «وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا».

والرسالة أعلى مرتبة من النبوة، وعدد الأنبياء لا يحصى إذ يزيد عددهم على ما جاء في بعض الآثار مائة وعشرين ألفًا، أما الرسل فهم قلة، والذين ذكروا في القرآن الكريم يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وهم خمسة وعشرون وكلهم من الرسل، وهؤلاء الذين ذكروا في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلاً، بمعنى أنه يتعين التصديق برسالتهم بأشخاصهم وأسمائهم، لأنهم ذكروا في القرآن الكريم، أما بقية الأنبياء فيجب الإيمان بهم جملة بمعنى أن نصدق بأن هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب العزيز؛ لأن الله تبارك وتعالى قد أخبر عنهم بقوله: «وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» (النساء: ١٦٤).



فالأنبياء والمرسلون هم الصفوة المختارة من عباد الله الذين شرفهم الله بالنبوة وأعطاهم الحكمة، ورزقهم قوة العقل، وسداد الرأي، واصطفاهم ليكونوا وسطاء بينه وبين خلقه يبلغونهم أوامر الله عز وجل، ويحذرونهم غضبه وعقابه ويرشدونهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وهؤلاء الأنبياء والرسل الأطهار ليسوا بدرجة واحدة من الفضل والمكانة، بل بعضهم أفضل من بعض، فقد جعلهم الله تعالى درجات، وفي ذلك يقول الله تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» (البقرة: ٢٥٣)، ويقول أيضا: «وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا» (الإسراء: ٥٥).

ومن الرسل الكرام من سماهم القرآن الكريم «أولي العزم» وهم قادة الأنبياء وسادتهم، وقد ذكرهم الله تعالى بالثناء العاطر، وأمر رسوله ﷺ أن يقتدي بهم في جهادهم وصبرهم وإن كان ﷺ منهم فقال عز من قائل: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» (الأحقاف: ٣٥)، وإنما سموا بـ «أولي العزم»؛ لأن عزائمهم كانت قوية، وابتلاءهم كان شديدا، وجهادهم كان شاقًا ومريرًا.

ونرجع إلى ما كنا نتحدث فيه حول آية آل عمران وقوله تعالى: «وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ»: «بني إسرائيل» وهل هذا اسم قبيلة أو اسم أشخاص معينين ؟ الجواب: أنه اسم قبيلة، كما يقال: بنو تميم، والعلماء رحمهم الله يفرقون بين ابن وبني إذا كان اسمًا لقبيلة أو اسمًا لشخص معين، وذكروا ذلك في باب الوقف وفرَّعوا عليه مسائل، فإذا قلت: هذا وقف على بني فلان وهم قبيلة كبني تميم مثلاً، فهل يعم الجميع ؟ وهل يشمل الذكور والإناث ؟ قالوا: نعم، يعم الجميع ويشمل الذكور والإناث، ولكن لا يجب التعميم فيجوز أن يوزع هذا الوقف على ثلاثة من بني تميم فقط ويجوز أن يعطى ثلاث نساء فقط؛ لأنه لا يختص بالرجال بل يشمل الذكور والإناث، ولأنه لا يستلزم التعميم.

أما لو قلت: هذا وقف على ابن فلان (واحد معين من الناس) فإنه يجب للذكور دون الإناث، لأن الابن غير البنت، ولأن بني فلان المعين يمكن حصرهم فيجب تعميمهم، والتساوي بينهم وإخراج النساء منهم.

فبنو إسرائيل من أي الصنفين ؟ الجواب: من الأول، من القبيلة، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهم بنو عم لبني إسماعيل، ولهذا لما بعث النبي ﷺ في بني عمهم - بني إسماعيل - غارت اليهود وأنكروه وكانوا بالأول يستفتحون على الذين كفروا، ويقولون: سيبعث نبي آخر الزمان، وظنوا أنه سيكون من بني إسرائيل، وليس ظنًا حقيقيًا، بل هو وَهْمٌ، لأنهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ويعلمون أنه سيبعث في مكة، لكن توهموا ذلك، أوهمتهم أنفسهم الكاذبة، فلما بعث في بني إسماعيل أنكروه وكذبوه، ومعنى إسرائيل في السريانية أو في العبرية: عبد الله، والآن تسمى الدولة اليهودية «إسرائيل».

«أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» يعني بعلامة على صدق قولي، وكما قال ذلك لهم قالوا وما هذه الآية، قال: «أَنِّي أَخْلُقُ» أي أصور وأقدر وأهيئ بيدي - وقوله: «لكم» تقييد لقوله: «أَخْلُقُ» لأنه يدل دلالة ما، على أنه لم يُرد الإيجاد من العدم، ويصرح بذلك قوله: «بِإِذْنِ اللَّهِ»، ومنه قوله تعالى: «وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا» (العنكبوت: ١٧)، قال ابن عباس: هو نحت الأصنام، سماها «إفكًا» توسعًا من حيث يفترون بها الإفك في أنها آلهة، وقال مجاهد: هو اختلاق الكذب في أمر الأوثان وغير ذلك.

«من الطين» يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه فيطير عيانًا بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله.

وقوله: «أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» أي: كمثله وصورته فينفخ فيه فيكون طيرًا، وفي قراءة لنافع وأبي جعفر ويعقوب: «فيكون طائرًا بإذن الله»، والباقون: «فيكون طيرًا»، والقراءتان لكل واحدة منهما معنى يكمل الأخرى، فقوله: «فَيَكُونُ طَيْرًا» أي: طيرًا حيًا بعد أن كان على صورة الطير وليس فيه روح، وقوله: «فيكون طائرًا» أي: يطير، تشاهدونه يطير بالفعل، فعندنا ثلاث مراتب:

١- تصوير على هيئة الطير.

٢- طير فيه روح على قراءة (فيكون طيرًا).

٣- طير يطير بالفعل على قراءة (طائرًا) بإذن الله.

وعلى هذا فيكون: يخلق شيئًا على هيئة الطير فينفخ فيه فيكون فيه روح ثم يطير.

وقوله: «بِإِذْنِ اللَّهِ» هذا من أجل تحقيق التوحيد حتى لا يظن ظان أنه يخلق استقلالاً؛ لأنه لولا هذا التقييد «بإذن الله» لتوهم النصراني وغير النصراني أن عيسى عليه السلام يخلق كما خلق الله آدم من طين على صورته، ثم نفخ فيه الروح فصار بشرًا فيظن الظان أن عيسى يخلق كخلق الله، فلهذا كان يقول عليه السلام: بإذن الله.

وللحديث بقية نستكمله في العدد القادم إن شاء الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جمع كلمة الأمة على الكتاب والسنة



إعداد: د/ عبدالله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تحدثنا في اللقاء السابق عن أهمية جمع كلمة المسلمين على الحق المبين، وهذا المسلك الذي أشرت إليه سابقًا، ولا يزال الحديث حوله متصلاً هو منهج العلماء الربانيين الذين لم تختلف قلوبهم، ولم يتبعوا أهواءهم، ولم تتعدد سبلهم، وقد بيّن الله تعالى في كتابه أن صراطه واحد وأمر باتباعه، ونهى عن الطرق المنحرفة المتعددة، قال تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (الأنعام: ١٥٣).

قال القرطبي - رحمه الله - في هذه الآية: «هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم، فإنه لما نهى وأمر، حذر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتباع طريقه على ما نبينه بالأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف... «ومستقيمًا» نصب على الحال، ومعناه مستويًا قويمًا لا اعوجاج فيه، فأمر باتباع طريقه الذي طرّقه على لسان نبيه محمد ﷺ وشرعه ونهايته الجنة، وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار، وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام،

والنهي عن الخروج على الأئمة

هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد». قاله ابن عطية(١).

وقال ابن كثير: «إنما وحَّد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط رسول الله ﷺ خطًا بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيمًا، قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»(٣).

وهذه دعوة صريحة إلى وجوب توحيد المنهج وسلوك صراط الله المستقيم الذي لا يتعدد، وترك الأهواء والبدع والضلالات، وقد ذكر الشاطبي رحمه الله عن مجاهد في قوله تعالى: «ولا تتبعوا السبل» قال: البدع والشبهات، وقال عن عبد الرحمن بن مهدي أن مالك بن أنس رضي الله عنه سُئل عن السنة فقال: هي ما لا اسم له غير السنة، وتلا: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»(٤).

وعليه أقول: يجب على عموم الأمة اتباع صراط الله المستقيم، والمنهج القويم الذي كان عليه نبينا ﷺ وتبعه عليه فيه صحابته الأخيار، ويحرسه أهل السنة والجماعة ويدافعون عنه، وهؤلاء هم الذين تبيض وجوههم يوم القيامة، بخلاف من زاغ عن الطريق، أو اختلف أو زاغ عن الكتاب، قال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (آل عمران: ١٠٥-١٠٧).

وفي هذه الآيات وعيد شديد لمن خالف الآيات البينات التي جاءت من عند رب البريات، ولذلك فإني أدعو كل صاحب منهج أقامه على غير الكتاب والسنة أن يطرحه وراء ظهره، وأن يُقبل على منهج أهل السنة، ولقد فهم سلفنا الصالح - رحمهم الله - هذا من هذه الآيات.

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: «فمن بدل أو غير أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المُبعدين منه، المُسودي الوجوه، وأشدهم طردًا وإبعادًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سُبلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، كل يخاف أن يكونوا عنوا بالآية والخبر كما بينا، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»(٥).

وقد ذكر الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال في قول الله تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ» يعني: يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسودّ وجوه أهل البدعة والفرقة(٦).

وهذا القول المنقول عن ابن عباس - رضي الله عنهما - نُقل مثله عن الإمام مالك، يعني أنه

جعل أهل الأهواء والبدع هم الذين تسود وجوههم يوم القيامة، وهذا موافق لكلام ابن عباس - رضي الله عنهما -: قال ابن وهب: «سمعت مالكًا يقول: ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ» إلى قوله: «بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ»، قال مالك: فأي كلام أبين من هذا؟ فرأيته يتأولها لأهل الأهواء، وفي قول ابن عباس السابق بأن الذين تبيض وجوههم يوم القيامة هم أهل السنة والجماعة دليل على أن هذا الاسم كان معروفًا ومستعملاً منذ زمن الصحابة - رضوان الله عليهم - وأنهم كانوا يستعملونه ويطلقونه على أهل الحق المتمسكين بالكتاب والسنة في مقابل أهل الأهواء والبدع والفرقة والخلاف، وما بعث الله نبيه ﷺ وأنزل عليه شريعته إلا ليسلك الناس طريق الكتاب والسنة، وينتهوا عن الهوى والبدعة.

يقول الشاطبي - رحمه الله -: «إن الشريعة موضوعة لإخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله، وهذا أصل قد تقرر في قسم المقاصد من كتاب الموافقات، لكن على وجه كلي يليق بالأصول»(٧).

وقد تتابعت أقوال السلف على هذه الحقيقة وتقريرها، فعن أبي الصلت قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب: أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره(٨)، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك - بإذن الله - عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر قد كُفُّوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مَقْصر(٩)، وما فوقهم من مَحْسر(١٠)، وقد قصّر قوم دونهم فَجَفَوْا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»(١١).

قال الشيخ / محمد شمس الحق في شرحه لكلام عمر بن عبد العزيز: «والحاصل أنه أوصاه بأمور أربعة: أن يتقي الله تعالى، وأن يقتصد أي يتوسط بين الإفراط والتفريط في أمر الله، أي: فيما أمره الله تعالى لا يزيد على ذلك ولا ينقص منه، وأن يستقيم فيما أمره الله تعالى لا يرغب عنه إلى اليمين ولا إلى اليسار، وأن يتبع سنة نبيه ﷺ وطريقته، وأن يترك ما ابتدعه المبتدعون بعد ما جرت به سنته وكفوا مؤنته، ومعنى كفوا مؤنته، أي: كفاهم الله تعالى مؤنة ما أحدثوا، أي أغناهم الله تعالى عن أن يحملوا على ظهورهم ثقل الإحداث والابتداع، فإنه تعالى قد أكمل لعباده دينهم، وأتم عليهم نعمته، ورضي لهم الإسلام دينًا، فلم يترك إليهم حاجة للعباد في أن يحدثوا لهم في دينهم، أي يزيدوا عليه شيئًا أو ينقصوا منه شيئًا، وقد قال ﷺ: شر الأمور محدثاتها»(١٢).

وقال الإمام مالك - رحمه الله -: «قبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل، فينبغي أن يتبع آثار رسول الله ﷺ وأصحابه ولا يتبع الرأي، فإنه من اتبع الرأي جاءه رجل آخر أقوى في الرأي منه فاتبعه، فكلما غلبه رجل اتبعه»(١٣).

وهذا الذي ذكرته عن أعلام من السلف هو المنهج الصحيح الذي يجب أن يتبع، وعلى كل داعية ناصح لدينه وأمته أن يسلكه وأن يدعو الناس إليه، وأن يحذر المخالفين الذين قلَّ اعتمادهم على الكتاب والسنة، ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كلام نفيس في هذا

جاء فيه: «إن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق والاختلاف شيعًا، وصار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول ﷺ، وغير ذلك، فعلى كل مؤمن ألا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قاله فيكون قوله تبعًا لقوله، وعلمه تبعًا لعلمه، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس دينًا غير ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام نظر فيما قاله الله والرسول ﷺ، فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل، فهذا أصل أهل السنة، وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الأمر على ما تلقوه عن الرسول ﷺ، بل على ما رأوه أو ذاقوه، ثم إن وجدوا السنة توافقه، وإلا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضًا أو حرفوها تأويلاً، فهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة، وأهل النفاق والبدعة»(١٤).

والناظر في جماعات المسلمين اليوم يجد كثيراً منهم سلكوا طرق المبتدعة وتركوا منهج أهل السنة، والواجب على الجميع اتباع القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله السؤال التالي:

بالنظر إلى العالم الإسلامي اليوم نجد أن هناك كثيراً من الجماعات التي تدعو إلى الإسلام، وكل منهم يقول: أنا على منهج السلف ومعي الكتاب والسنة، فما موقفنا نحو هذه الجماعات؟

فأجاب: «الحكم على هذه الجماعات التي تدعي كل طائفة منها أنها على الحق - سهل جدًا -، فإنا نسألهم: ما الحق ؟ الحق ما دل عليه الكتاب والسنة، والرجوع إلى الكتاب والسنة يحسم النزاع لمن كان مؤمنًا، أما من اتبع هواه فلا ينفع فيه شيء، قال تعالى: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» (النساء: ٥٩)، فنقول لهذه الجماعات: اجتمعوا ولينزع كل واحد منكم هواه الذي في نفسه، ولينْوِ النية الحسنة أنه سيأخذ بما دل عليه القرآن والسنة، مبنيًا على التجرد من الهوى لا مبنيًا على التقليد والتعصب»(١٥).

وإضافة إلا ما قاله الشيخ؛ فإنه إن زعم أهل كل طائفة أنهم على الكتاب والسنة، فيكون الحجة بفهم سلف الأمة؛ لأن كل الفرق الضالة إنما ضلت من تحريف أو تأويل فاسد للكتاب والسنة أيضًا.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع قلوب أهل الإيمان على التسليم لما جاء من عنده جلَّ في علاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وللحديث صلة بإذن الله تعالى.

الهوامش

١- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج٢٥٧٣/٤، ٢٥٧٤.
٢- تفسير ابن كثير ج٢٦٣/٢.
٣- مسند أحمد ج٤٦٥/١، والحاكم في المستدرك ج٣١٨/٢، وقال: صحيح الإسناد.
٤- الاعتصام للشاطبي ج٤٤/١.
٥- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج٢/ ١٤١٠.
٦- انظر تفسير ابن كثير ج٥٣٦/١.
٧- الاعتصام للشاطبي ج٤٩٩/٢.
٨- أراد بالاقتصاد: التوسط بين الإفراط والتفريط.
٩- «مَقْصَر» مصدر ميمي أو اسم ظرف، ومادته من قصر ا لشيء قصراً، أي حبسه.
١٠- «مَحْسَر» مصدر ميمي أو اسم ظرف، ومادته من حسر الشيء يحسره، أي: كشفه، يقال: حسر كمه من ذراعه، أي: كشفها.
١١- سنن أبي داود، كتاب السنة باب ٧، ج١٨/٥-٢٠.
١٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود ج٣٦٦/١٢، ٣٦٧.
١٣- الاعتصام للشاطبي ج٢/ ٣٨٣.
١٤- مجموع فتاوى ابن تيمية ج١٣/ ٥٨، ٦٢، ٦٣.
١٥- من لقاءات الباب المفتوح مع الشيخ ابن عثيمين برقم (٨٧٥).



أثر السياق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

القرائن الحالية المنفصلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أسباب النزول، أسباب الورود، بيئة الخطاب، ولقد تكلمنا عن القسمين الأولين في الحلقة السابقة، وبدأنا الكلام عن بيئة الخطاب.

ثالثًا: بيئة الخطاب

وكما ذكرنا فإنها من أقسام القرائن الحالية المنفصلة (وهي القرائن غير المتصلة بالنص ذاته وإنما تكون في نصوص أخرى)، وهي تشمل حال المخاطَبين، والمخاطِبين وعاداتهم وأعرافهم اللغوية، وهذه القرائن - بيئة الخطاب - تساهم في فهم النص، والأمثلة توضح ذلك.

أمثلة من كتاب الله تعالى على مراعاة بيئة الخطاب

القرآن الكريم - يراعي أحوال المخاطَبين في كثير من آياته، بل نستطيع القول إن القرآن الكريم يراعي أحوال المخاطَبين وأعرافهم في آياته كلها، وليس أدل على ذلك من نزول القرآن باللغة العربية وبالأعراف اللغوية المعهودة عند العرب.

ومن أمثلة مراعاة الأحوال في كتاب الله تعالى:

المثال الأول

في قوله تعالى: «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (البقرة: ١٠٩).

فالله تعالى يأمر النبي ﷺ والمؤمنين بقوله: «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» مراعيًا لحالهم ولتطور الشريعة من مرحلة إلى أخرى، فيأمرهم بالعفو والصفح، حتى يأتي الله بأمره، وهو الأمر بالقتال.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال في قوله تعالى: «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» نسخ ذلك بقوله تعالى: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»، وقوله تعالى: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» إلى قوله تعالى: «وَهُمْ صَاغِرُونَ» (التوبة: ٢٩)، فنسخ هذا عفوه عن المشركين، وكذا قال أبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والسدي: إنها منسوخة بآية السيف، ويرشد إلى ذلك أيضًا قوله تعالى: «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ».

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله: «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وكان رسول الله ﷺ يتأول من العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم بقتل، فقتل الله به من قتل من صناديد قريش، (قال ابن كثير: هذا إسناده صحيح ولم أره في شيء من الكتب الستة، ولكن له أصل في الصحيحين عن أسامة بن زيد. تفسير ابن كثير، وأشار إلى صحته الألباني في تحقيقه لفقه السيرة للغزالي).

فالله تعالى راعى أحوال المؤمنين الأول (المخاطَبين)، فأمرهم في حال ضعفهم لقلة عددهم بالعفو والصفح، لكن إلى حين، وهو مجيء أمر الله تعالى بالقتال.

- لذا نجد الآية التالية لهذه الآية، يقول الله فيها: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (البقرة: ١١٠).

فأمرهم بالاشتغال في الوقت الحاضر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وفعل كل القربات، ووعدهم أنهم مهما فعلوا من خير فإنه لا يضيع عند الله... (تفسير السعدي).

المثال الثاني

في قوله تعالى: «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ» (البقرة: ٢٣٦).

القرآن الكريم يراعي أحوال المكلفين (المخاطَبين) في تكليفهم، فيثبت في كل حال ما يناسبها، لذا قال تعالى: «عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ».

قال الشافعي في الجديد (مذهبه الجديد): لا يُجبر الزوج على قدر معلوم، إلا على أقل ما يقع عليه اسم المتعة، وأحب ذلك إليَّ أن يكون أقله ما تجزئ فيه الصلاة.

وقال الشافعي في القديم (مذهبه القديم): لا أعرف في المتعة قدرًا إلا أني أستحسن ثلاثين درهمًا، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما. (تفسير ابن كثير).

يقول الطبري في تفسيره: «وَمَتِّعُوهُنَّ»:

في فهم النص

الحلقة الرابعة

إعداد/ متولي البراجيلي

وأعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على أقداركم ومنازلكم من الغنى والإقتار.

ثم نقل كلام أهل العلم في مقدار المتعة، فوجدنا اختلافًا كثيرًا في أقوالهم، وذلك لأن الله تعالى لم يحدد مقدار المتعة، ولو شاء لحدَّد، لكنه راعى أحوال المكلفين يسرًا وعسرًا مع ندبه تعالى للمعاملة بالفضل «وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ».

وفي تفسير القرطبي: وقد قيل إن حالة المرأة معتبرة أيضًا، قاله بعض الشافعية، قالوا: لو اعتبرنا حال الرجل وحده لزم منه أنه لو تزوج امرأتين إحداهما شريفة والأخرى دنية ثم طلقهما قبل المسيس ولم يسم لهما أن تكونا متساويتين في المتعة فيجب للدنية ما يجب للشريفة، وهذا خلاف ما قال الله تعالى: «مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ».

فالله تعالى راعى في الآية أحوال المخاطَبين – كما رأيت –، كما راعى في الآية أيضًا أعراف الناس.

وفي تفسير السعدي: وهذا يرجع إلى العرف، وأنه يختلف باختلاف الأحوال، ولهذا قال: «مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ»، فهذا حق واجب على المحسنين ليس لهم أن يبخسوهن.

فكما تسببوا لتشوفهن واشتياقهن، وتعلق قلوبهن، ثم لم يعطوهن ما رغبن فيه، فعليهم – في مقابلة ذلك – المتعة.

(فائدة: علمنا أن المتعة لم يحددها الشرع وتركها لأعراف الناس ويسارهم وإعسارهم، لكن هل أصل المتعة واجب؟

يقول الشنقيطي في «أضواء البيان»: «... وظاهر قوله: «وَمَتِّعُوهُنَّ»، وقوله: «وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ» يقتضي وجوب المتعة في الجملة خلافًا لمالك ومن وافقه في عدم وجوب المتعة أصلاً، واستدل بعض المالكية على عدم وجوب المتعة بأن الله تعالى قال: «حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ» (البقرة: ٢٣٦).

وقال: «حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» (البقرة: ٢٤١)، قالوا: فلو كانت واجبة لكانت حقًّا على كل أحد، وبأنها لو كانت واجبة تعين فيها القدر الواجب.

– قال مقيده (الشنقيطي) عفا الله عنه: هذا الاستدلال على عدم وجوبها لا ينهض فيما يظهر، لأن قوله: «عَلَى الْمُحْسِنِينَ»، و«عَلَى الْمُتَّقِينَ»، تأكيد للوجوب، وليس لأحد أن يقول: لست متقيًا مثلاً لوجوب التقوى على جميع الناس.

– قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: «وَمَتِّعُوهُنَّ» الآية ما نصه: وقوله: «عَلَى الْمُتَّقِينَ» تأكيد لإيجابها؛ لأن كل واحد يجب عليه أن يتقي الله في الإشراك به ومعاصيه، وقد قال تعالى في القرآن الكريم: «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» (البقرة: ٢)، وقولهم: لو كانت واجبة لعين القدر الواجب فيها، ظاهر السقوط، فنفقة الأزواج والأقارب واجبة ولم يعين فيها القدر اللازم...».

– وإعطاء المتعة من محاسن التشريع، وذلك لجبر قلبها المنكسر بالطلاق، وقد أورد السعدي في «القواعد الحسان» القاعدة الثامنة والثلاثين قال فيها: قد دلت آيات كثيرة على جبر المنكسر قلبه، ومن تشوفت نفسه لأمر من الأمور إيجابًا واستحبابًا.

ثم قال: وهذه قاعدة لطيفة، اعتبرها الباري وارشد عباده إليها في عدة آيات، منها المطلقة: فإنها لما كانت في الغالب منكسرة القلب حزينة على فراق بعلها، أمر الله بتمتيعها على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، متاعًا بالمعروف).

المثال الثالث

في قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» (البقرة: ٨، ٩).

كان القرآن في مكة يخاطب المؤمن والكافر؛ لأن مكة كانت تضم من آمن بالله ورسوله ومن كفر، لكن لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وبعد أن انتصر المسلمون في غزوة بدر ظهرت طائفة جديدة، نطقت كلمة الإسلام بألسنتها، وتظاهرت به، وأضمرت الكفر في قلوبها، وهم المنافقون – فالله – عز وجل – راعى بيئة الخطاب في العهد المكي، ثم راعى تغير بيئة الخطاب في العهد المدني، فبيَّن عوارهم وخبيئة صدورهم للنبي ﷺ وللمؤمنين، وفي سورة البقرة وصف الله المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات، ثم عرَّف حال الكافر بآيتين، ثم شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر في اثنتي عشرة آية – وذلك من المشرع سبحانه وتعالى كما قلنا مراعاة لتغير بيئة الخطاب عملًا

كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعددة، كل منها نفاق، كما أنزل سورة براءة فيهم، وسورة المنافقون فيهم، وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور، تعريفًا لأحوالهم لتجتنب، ويُجتنب من تلبس بها أيضًا.

– والنفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب.

– فالله تعالى في هذه الآيات يعلم نبيه ﷺ بكذب المنافقين، وأن ما قالوه بألسنتهم هو تقيّة ولا يغني عنهم شيئًا، إذ نفى عنهم الإيمان «وما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ».

ثم قال تعالى: «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا».

وذلك بما أظهروا بألسنتهم أنهم على الإسلام ليدرؤوا عن أنفسهم ما يلحق بالكافرين من القتل والسبي وغير ذلك من أحكام الكافرين.

وهم يظنون أنهم يخادعون الله والمؤمنين بذلك، فقال الله عنهم: «وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» إذ ركب المنافق هواه وأمانيه واختار عاجل الدنيا، وغفل أو تغافل عن العاقبة، فأورد نفسه المهالك، والدرك الأسفل من النار، وذلك هو خداعه نفسه.

– كما قال تعالى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ» (المنافقون: ١) أي: إنما يقولون ذلك إذا جاءوك فقط لا في نفس الأمر، ولهذا يؤكدون في الشهادة بـ «إن» ولام التأكيد...

– فلجهل المنافقين ظنوا أنهم يخدعون الله بما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر، وأن ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه كما يروج على بعض المؤمنين، كما قال تعالى: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ» (المجادلة: ١٨). (تفسير الطبري وتفسير ابن كثير بتصرف).

يقول القرطبي في «تفسيره»: «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» قال علماؤنا: معنى «يُخَادِعُونَ اللَّهَ» أي: يخادعونه عند أنفسهم وعلى ظنهم.

وقيل: قال ذلك لعملهم عمل المخادع.

وفي تفسير البغوي: «وَهُوَ خَادِعُهُمْ» أي: يفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما يُصَيِّرُهم إليه من عذاب الآخرة، فإن قيل: ما معنى قوله: «يُخَادِعُونَ اللَّهَ» والمفاعلة للمشاركة، وقد جل الله تعالى عن المشاركة في المخادعة، قيل: قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك: عافاك الله، وعاقبت فلانًا، وطارقت النعل.

المثال الرابع

في قوله تعالى: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (الحجرات: ١٤).

وهذه طائفة جديدة وهم الأعراب، والله – سبحانه وتعالى – يراعي تغير بيئة الخطاب، فبيّن للنبي ﷺ والمؤمنين أحوالهم.

فالله يأمر نبيه ﷺ أن يقول لهم: أسلمتم ولم تؤمنوا بعد، وأنكر الله عليهم ما ادعوه من الإيمان.

– وفي تفسير الطبري، «بسنده عن الزهري قال: الإسلام: الكلمة، والإيمان: العمل».

وقد بيّن الله في الآيات التالية ما هو الإيمان الحقيقي، فقال: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (الحجرات: ١٥).

فأعمالهم صدَّقت أقوالهم، أما الأعراب فقالوا كلامًا ولم تصدّق أعمالهم أقوالهم.

وفي تفسير الطبري بسنده عن قتادة: «لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا» قال: لم تعمّ هذه الآية الأعراب، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ولكنها في طوائف من الأعراب.

«وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» ولما يدخل العلم بشرائع الإيمان، وحقائق معانيه في قلوبكم.

– وفي تفسير ابن كثير: وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام، حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه...

وهؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادّعوا لأنفسهم مقامًا أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا في ذلك، وهذا معنى قول ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وقتادة، واختاره ابن جرير، وإنما قلنا هذا لأن البخاري، رحمه الله، ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الإيمان وليسوا كذلك.

وفي تفسير القرطبي: فأخبر الله تعالى أنه ليس كل من أسلم مؤمنًا، فدل على أنه ليس كل مسلم مؤمنًا، وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص لما قال له: أعط فلانًا فإنه مؤمن، فقال النبي ﷺ: «أو مسلم». الحديث أخرجه مسلم.

فدل على أن الإيمان ليس الإسلام، فإن الإيمان باطن، والإسلام ظاهر، وهذا بيّن.

وقد يطلق الإيمان بمعنى الإسلام، والإسلام ويراد به الإيمان، للزوم أحدهما الآخر وصدوره عنه، كالإسلام الذي هو ثمرة الإيمان ودلالة على صحته، فاعلمه».

– وفي الآيات إشارة إلى أنه ينبغي ترك رؤية

الأعمال والعلم بأن المنة في الهداية لله الملك المتعال. (تفسير الألوسي).

فائدة: في الفرق بين الإسلام والإيمان

قد يأتيان بمعنى واحد، كما في قوله تعالى: «فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (الذاريات: ٣٥، ٣٦).

ويأتيان بمعنيين مختلفين، وذلك إذا جاءا في سياق واحد، كما بحديث جبريل عليه السلام، عندما سأل النبي ﷺ عن الإسلام قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، وفي الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره».

فانصرف معنى الإيمان إلى أعمال القلب، والإسلام إلى الأعمال الظاهرة، ومن الأدلة على ذلك أيضًا الآية التي نحن بصددها: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا».

- وإذا جاء الإيمان في سياق مستقل، فيشمل الإسلام أيضًا كما في حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم: «آمركم بالإيمان بالله وحده»، أتدرون ما الإيمان بالله وحده، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله...

يقول ابن عثيمين - رحمه الله - في تفسيره: «ولهذا قال أهل السنة والجماعة: إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا (افترقا، وإذا افترقا اجتمعا)، يعني إذا ذُكرا في سياق واحد فهما شيئان، وإذا ذكر أحدهما دون الآخر فهما شيء واحد».

ويدل على هذا أن النبي ﷺ عدّ أعمالاً هي من الإسلام، وجعلها من الإيمان، فقال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله»، مع أنها من الإسلام.

قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله» (حديث جبريل)، «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، و«إماطة الأذى عن الطريق» من الإسلام، لأنها عمل، والأعمال أعمال الجوارح، و«الحياء شعبة من الإيمان»، وهذا في القلب، فالمهم الإيمان والإسلام إذا افترقا فهما شيء واحد، وإذا اجتمعا فهما شيئان).

- والأمثلة في القرآن كثيرة، راعى المشرع - سبحانه وتعالى - فيها بيئة الخطاب، وتغير الأحوال من مكان إلى مكان (مكة والمدينة وما حولهما)، وكذلك من زمان إلى آخر، ولعل ذلك من فوائد نزول القرآن منجمًا على مدى ثلاث وعشرين سنة، ليواكب تغير بيئة الخطاب وأحوال المخاطبين بمرور الأوقات.

- وكما أن المشرع راعى أحوال المخاطبين، فكذلك راعى العرف اللغوي المتعارف عليه عند المخاطبين، ومعرفة العرف اللغوي في زمن التنزيل من قرائن السياق التي تساعد على الفهم الصحيح للنص.

ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول

قول الله تعالى: «وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» (الإسراء: ٢٣).

فلفظ «أف» المنهي عنه في سياق الآية، يدل بالوضع على تحريم التأفف من الوالدين، ومن حيث العرف اللغوي هو عام في كل ما فيه أذى لهما. (أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله: د. عياض بن نامي السلمي).

- فـ «أف»: كل ما غلظ من الكلام وقبح. (تفسير الطبري).

كما في قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: «أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (الأنبياء: ٦٧).

يقول - كما في تفسير الطبري - قبحًا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع...

- وكذلك قوله تعالى: «وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» (الأحقاف: ١٧).

وهذا نعتٌ من الله تعالى ذكره، نَعَتَ به ضالا به كافر، وبوالدين عاق، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق ونصيحتهما له إلا عتوًا وتمردًا على الله وتماديًا في جهله.. «أُفٍّ لَكُمَا». يقول: قذرًا ونتنًا. (تفسير الطبري).

المثال الثاني

قوله تعالى: «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ» (الذاريات: ٤٨، ٤٩)، فشبه سبحانه وتعالى نساء الجنة بالبيض المكنون، كما هو عرف العرب في تشبيه كل مصون بالمكنون، ولحب العرب للون الأبيض في النساء.

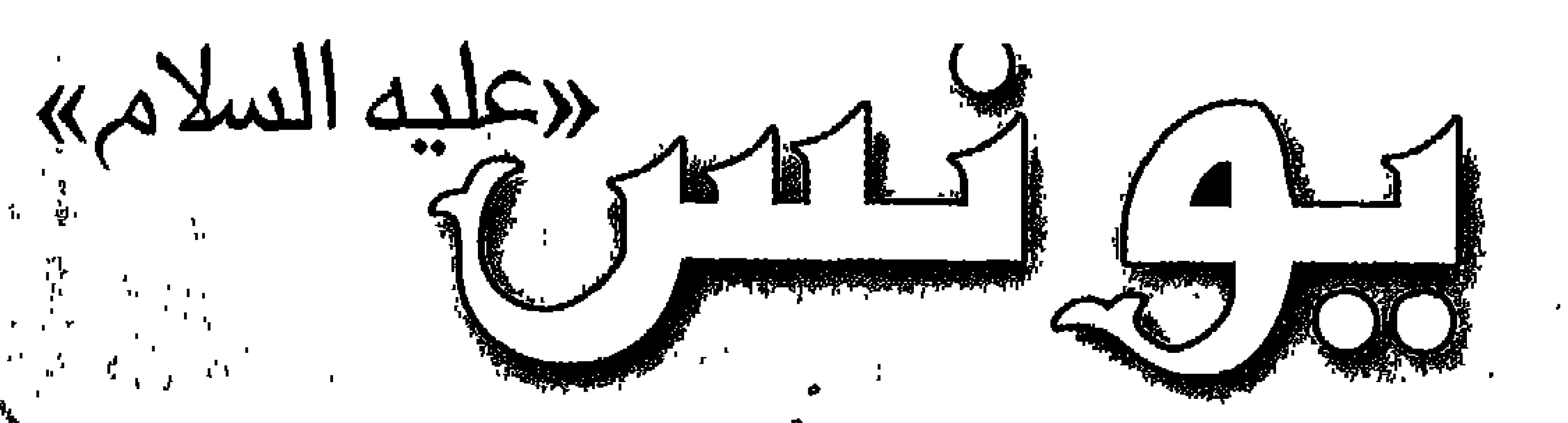
يقول ابن كثير في تفسيره: «..«كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ»: وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان»، وتقول العرب عن اللؤلؤ: «البيض»، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ». يقول: اللؤلؤ المكنون. (تفسير ابن كثير).

ويؤيد هذا قوله في وصفهن: «وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ» (الواقعة: ٢٢، ٢٣).

- وفي سنة النبي ﷺ نجد نصوصًا كثيرة يراعي فيها النبي ﷺ بيئة الخطاب بعناصرها المتعددة، من حال المخاطب والمخاطَب والعادات والأعراف في ما يعهدونه من معان للألفاظ عند سماعها، كما سنرى إن شاء الله تعالى.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.





الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلمًا، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

حقيقة نحن الآن أمام تحد كبير، والتحدي الذي أقصده يكمن في كثرة الفوائد المستخلصة والعبر المستفادة من قصة النبي الكريم يونس عليه السلام، والتي نريد أن نجملها ونوردها في هذا اللقاء، مع قصره فأدعو الله أن يوفقني لحسن الاختيار والسداد في القول، آمين.

ولنشرع وبالله العون والتوفيق:

أولاً: وطن الدعوة

ونبدأ بسؤال: ما وطن الدعوة؟ وهل للدعوة وطن؟

والإجابة أن الأرض لله والخلق عبيد الله، والأنبياء رسل الله، فحيث ما أمرهم نفذوا أمره وبلغوا دعوته، فإن من القواعد المقررة شرعًا أن محبة الله مقدمة على محبة الأهل والمال والوطن، وطاعة الله مقدمة على كل طاعة، هذا في حق آحاد المؤمنين فكيف بالنبيين والمرسلين؟

فالرسل والأنبياء براء من التعصب المقيت لقومية أو وطنية، بل هي دعوى الجاهلية وليست دعوة الرسل ومنهم يونس عليه السلام، فقد نفذ أمر الله وذهب لأهل نينوي بالموصل بأرض العراق خلافًا لما ادعاه اليهود، نعم يونس عليه السلام من بني إسرائيل ومولده بالشام لكنه لم يخالف أمر الله وليس من شيمته ذلك، وليس هو أول نبي يفعل ذلك؛ فموسى عليه السلام أول أنبياء بني إسرائيل لم يدع بني إسرائيل فحسب، بل دعا فرعون وقومه من أهل مصر وسليمان بن داود عليهما السلام، وهو من أشهر انبياء بني إسرائيل من بعد موسى، دعا ملكة سبأ باليمن وأسلمت لله على يديه، والقصة معروفة.

هذا بخصوص الأنبياء والمرسلين قبل نبينا محمد ﷺ، أما نبينا محمد ﷺ فهو خاتم النبيين ورسول الله للعالمين، وهو القائل: «كان كل نبي يُبعث لقومه خاصة، وبعثت للناس كافة». (ولا تنفي هذه الخصوصية أن يدعو غيرهم كما بينا في قصة موسى عليه السلام).

ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ» (سبأ: ٢٨)، والآيات والأحاديث في هذا يطول بيانها، وليس هذا مكانه ولا أوانه.

ثانيًا: المعبود واحد - سبحانه - والرسل إخوة والأمة واحدة

وتأسيسًا على ما تقدم، يتضح الآتي:

١- الله سبحانه وتعالى هو الذي أرسل جميع الرسل وأنزل جميع الكتب.

٢- الإيمان بجميع الرسل وبجميع الكتب واجب، والكفر بواحد منهم كفر بالمرسِل - سبحانه -.

٣- قد قص الله علينا من خبرهم في كتابه ما قصّ، نؤمن به تفصيلاً، وهناك رسل لم يقصصهم علينا نؤمن بهم إجمالاً، ولا نفرِّق بين أحد من رسله.

٤- الله - سبحانه - قص علينا في كتابه مسيرة الرسل والأنبياء ثم عقب بقوله - سبحانه -: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» (الأنبياء: ٩٢).

ثالثًا: سفينة النجاة

عندما استقر يونس في بطن الحوت نادى من الأعماق، «أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»، وكان على يقين أن الله سيسمعه كما

«خلاصة المستفاد من قصة يونس عليه السلام»

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

سمع دعاء أبيه إبراهيم من قبل وهو يُلقى في النار، وكما سمع لنوح ولوط وأيوب وزكريا ومريم وغيرهم، كما كان على يقين أن الله منجيه كما أنجاهم، وقد استجاب الله له ونجاه، وقال: «وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» من السابقين واللاحقين، ولذلك قال خاتم النبيين: «دعوة ذي النون لم يدع بها مسلم ربَّه في شيء إلا استجيب له». فإذا ألمَّ بك مكروه فالجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه واسلك سبيل النجاة.

رابعاً: إثبات السمع والبصر لله

في قصة الحوت دليل قوي على إثبات السمع لله، وإثبات البصر له - سبحانه - وإحاطة سمعه بجميع المسموعات، وإحاطة بصره بجميع المرئيات، وله سبحانه جنود السماوات والأرض، فالحيتان في أعماق البحر من جنده، والطير في أجواء الفضاء من جنده، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

خامساً: الصبر زاد الدعوة

الصبر زاد الدعوة وروحها وقوامها، والسكينة والوقار سمت الدعاة والمصلحين، ويتفاضل الأنبياء بالصبر في دعوتهم وأعظمهم صبرًا أولو العزم منهم، ولنبينا ﷺ المقام الأعلى، لذا فهو صاحب الشفاعة العظمى، ومن هنا أمره الله ألا يكون كصاحب الحوت في ضعف صبره وعجلته على قومه، قال تعالى: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ» الآية.

نزلت مرتبة صاحب الحوت في الصبر عن منزلة أولي العزم من الرسل، وبهذا أوخذ، والله أعلم.

سادساً: قوم يونس (أمة عظيمة) ويونس نبي كريم

أثنى الله - سبحانه وتعالى - عليهم لتوبتهم من عنادهم ولجوئهم إلى الله، «فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأنعام: ٤٣)، وقال تعالى: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ» (يونس: ٩٨)، هذا في حق الأمم غير قوم يونس. أما قوم يونس فآمنوا وبادروا بالتوبة قبل نزول العذاب عند أول علاماته وكانت أول علامات العذاب عندهم خروج يونس عليه السلام من بين ظهرانيهم، وقد كان معلومًا عندهم أن خروج النبي علامة على إتيان العذاب لا محالة، فبادروا بالتوبة والإنابة فقبل الله توبتهم وكشف عنهم العذاب في الدنيا ومتعهم بحياة طيبة لمَّا كانوا على الإيمان، وأعاد لهم نبيهم يونس معززًا مكرمًا معلِّمًا ومرشدًا فعاش بينهم حتى توفاه الله وهو بين قومه، ونتعلم من هذا الموقف:

١- سعة رحمة الله بعباده وقبوله توبة التائب حتى ولو كان كافرًا وتاب من كفره.

٢- كرامة يونس على ربه حيث نجاه من الظلمات الثلاث وأنبت عليه شجرة من يقطين، وحتى عجلته على قومه كانت من أسباب سرعة توبتهم.

٣- كانت أمة يونس أمة عظيمة في عددها فمائة ألف وزيادة في ذلك الزمن عدد كبير، وهي كذلك أمة عظيمة في أخلاقها حيث بادرت بالتوبة، وهي أيضًا عظيمة في حضارتها في ذلك الزمن القديم.

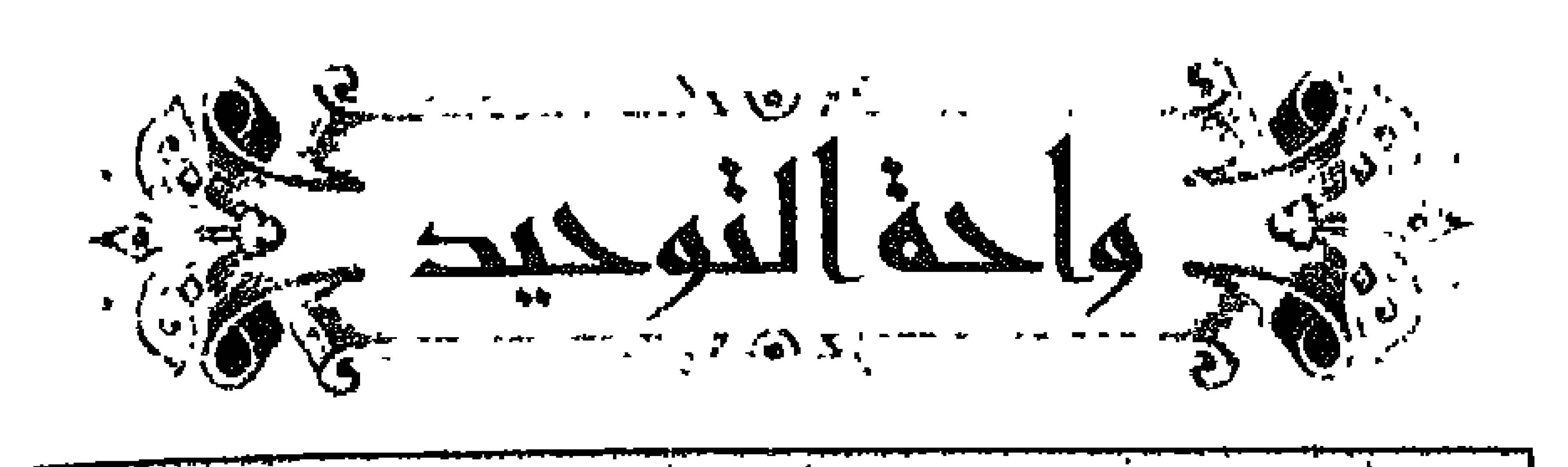
٤- قبول التوبة يكون قبل معاينة العذاب، وليس بعد وقوعه، وهذا الذي حدث لقوم يونس عليه السلام.

سابعاً: سر اليقطين

تحدث بعض الباحثين حول سبب اختيار المولى - سبحانه - لشجرة اليقطين ينبتها على عبده يونس وهو سقيم، فذكروا فوائد لهذا النبات منها:

- سرعة نموه، وظل أوراقه ونعومتها وكبرها فكانت كالمهد، وطردها للحشرات وبخاصة الذباب، وتحدثوا عن فوائد ثمره الذي يزيل العطش ويبعث الحيوية في الكبد والكلى والبدن عمومًا، واستأنسوا في ذلك بحب رسول الله ﷺ لثمر اليقطين كما صح الخبر بذلك، وهذه جهود مشكورة، لكن تبقى الحكمة العليا يختص بها العليم الحكيم، وما علمناه فهو نزر يسير، وأرجو أن ينفعني الله وإياكم بهذا الذي ذكرناه، وأحسب أن ما سكتنا عنه لا يضرنا سكوتنا عنه، وفقنا الله لحسن القول وإحسان العمل، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وإلى لقاء جديد بإذن الله تعالى.



من نور كتاب الله

بشريات في زمن الفتن

«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ» (فصلت: ٣٠ -٣٢).

من هدي رسول الله ﷺ

الاقتصاد في العيش

عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء فقال ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها. (رواه الترمذي وصححه الألباني).



تحذيرات نبوية

احذر الوقوع في الكذب لتضحك الناس

عن بهز بن حكيم حدثني أبي عن جدي قال سمعت النبي ﷺ يقول: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له». (رواه الترمذي وحسنه الألباني).

من دلائل النبوة

إخباره ﷺ بموت أحد المنافقين:

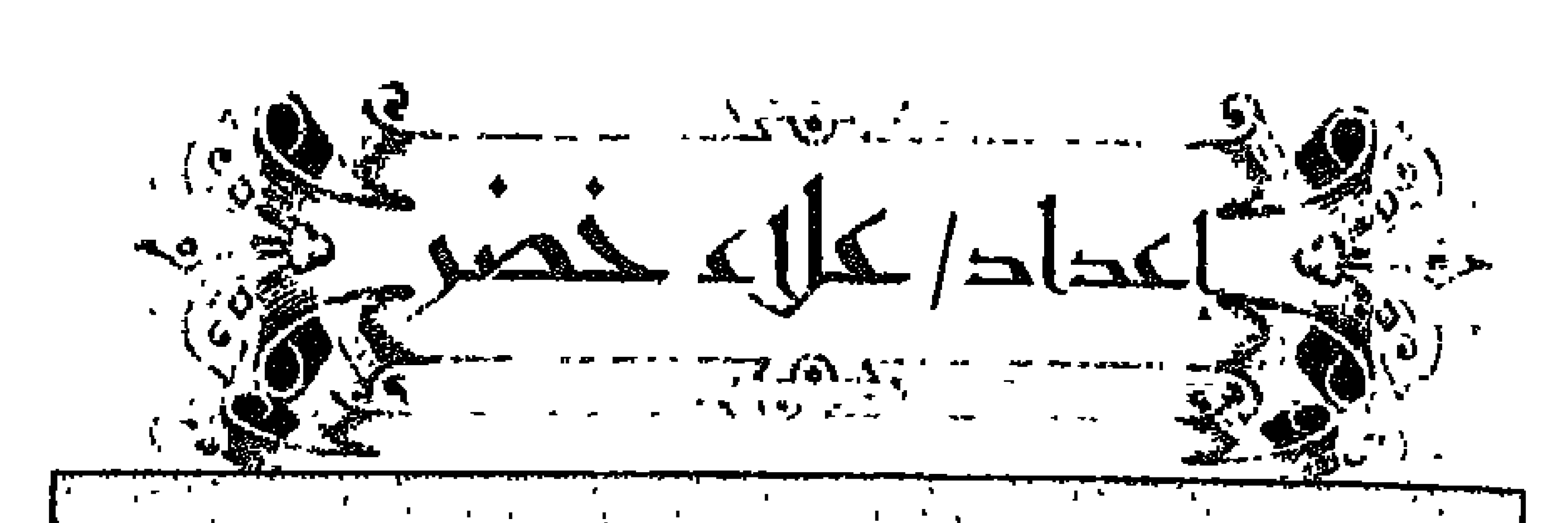
عن جابر رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح تكاد أن تدفن الراكب فقال رسول الله ﷺ: «بعثت هذه الريح لموت منافق». فقدم المدينة فإذا عظيم من المنافقين قد مات. (رواه مسلم).

من فضائل الصحابة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل، و لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. (رواه أحمد وصححه الألباني).

من جوامع الدعاء

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو: «اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العافية في ديني وأهلي، واستر عورتي، وآمن روعتي، واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن يساري، ومن فوقي، وأعوذ بك أن أغتال من تحتي». (الأدب المفرد للبخاري).



حكم ومواعظ

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كتب إلى مسلمة بن مخلد: أما بعد؛ فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أَحَبَّهُ الله، فإذا أَحَبّه اللهُ حَبّبَهُ إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أَبْغَضَهُ الله، وإذا أَبْغَضَهُ اللهُ بَغّضَهُ إلى خلقه. (كنز العمال).

وعنه رضي الله عنه قال: إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمت فماذا عملت فيما علمت. (رواه البيهقي).

من أقوال السلف

عن أنس رضي الله عنه قال: إن العبد إذا عمل بالبدعة خلاه الشيطانُ والعبادةَ وألقى عليه الخشوعَ والبكاءَ.

عن علي رضي الله عنه قال: ثلاثة لا يقبل معهن عمل، الشرك، والكفر، والرأي، قالوا يا أمير المؤمنين: ما الرأي؟ قال: تدع كتاب الله وسنة رسوله، وتعمل بالرأي. (كنز العمال).

من الطب النبوي

عن سلمى خادم رسول الله ﷺ: ما كان أحد يشتكي إلى رسول الله ﷺ وجعا في رأسه إلا قال احتجم ولا وجعا في رجليه إلا قال اخضبهما. (سنن أبي داود).

من وصايا السلف

التباهي بالعلم والعبادة وليس بكثرة الأولاد والأموال

عن علي قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وتناهى في عبادة ربك، إن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله. لا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنبا فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل سارع في دار الآخرة. (كنز العمال).

من آثار المعاصي

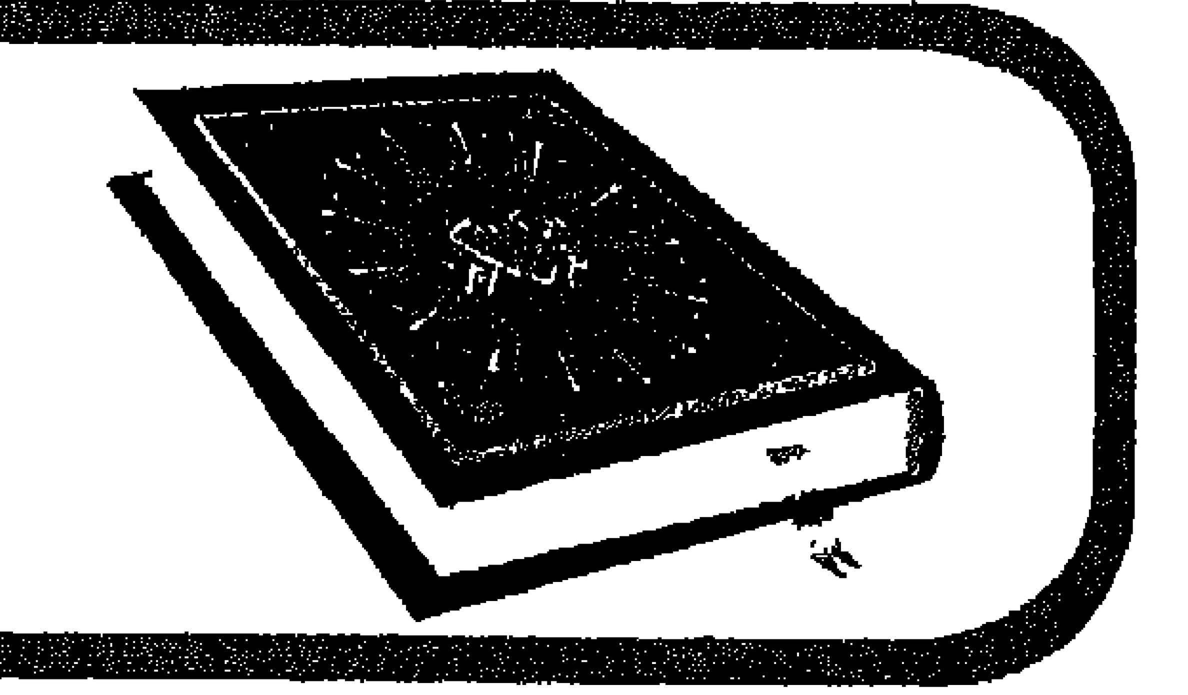
نكس القلب

حتى يرى الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرًا والمنكر معروفا ويفسد ويرى أنه يصلح ويصد عن سبيل الله وهو يرى أنه يدعى إليها ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى أنه على الهدى ويتبع هواه وهو يزعم أنه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية علي القلوب. (الجواب الكافي).



صحح لغتك

تَكرار - تَعداد - تَذكار - تَجوال: هي مصادر للأفعال: كرّرَ - عدّدَ - ذكّرَ- جوّلَ، وتنطق هذه المصادر بفتح التاء، والخطأ أن تنطق بكسرها. بخلاف المصدرين: تِبيان - تِلقاء، فهما ينطقان بكسر التاء.



الإباضية في ضوء

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن ظهور الفرق في الأمة الإسلامية كان له أسباب داخلية وأخرى خارجية لعل من أهمها:

١- انحراف المجتمعات الإسلامية عن المنهج الإسلامي الصحيح والمحجة البيضاء.

٢- تأثر بعض المجتمعات الإسلامية بالتيارات الأجنبية الوافدة إليها من الثقافات المنحرفة عن الصراط المستقيم.

٣- ركون بعض المسلمين إلى السلبية وعدم قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- عدم الاستفادة من دروس الماضي لتفويت الفرصة على أعداء الإسلام، والوقوف صفًا واحدًا على منهج واحد - منهج أهل السنة والجماعة.

نشأة الفرق الإسلامية

ونشأة الفرق الإسلامية ترجع إلى أواخر عصر الخلفاء الراشدين، حيث كان المسلمون قبل ذلك جماعة واحدة تحمل عقيدة وفكرًا متسقًا، ومتى ظهر خلاف عاد الجميع إلى الكتاب والسنة فينتهي الخلاف إلى وفاق بسبب الاحتكام إلى قول الله وقول رسوله ﷺ.

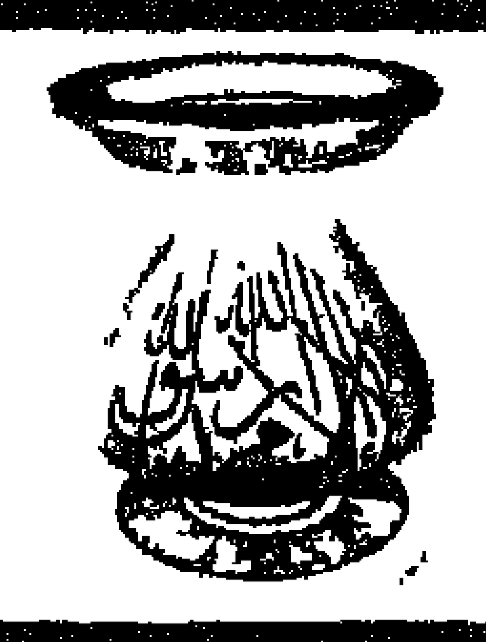
وبدأت الفتنة والفرقة في أواخر عهد الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه بالشكوى أولاً من ولاته الذين ولاهم على الأمصار، ثم امتدت بعد ذلك إلى شخصه بدعوى باطلة فحواها أنه قرب ذوي رحمه على غيرهم، ثم اتسعت للطعن في دينه رضي الله عنه، حتى قُتل مظلومًا بيد فئة ظالمة غرر بها، ثم آل الأمر بعد عثمان إلى علي، رضي الله عنهما، الذي اتهم ظلمًا وزورًا بموالاته لقتلة عثمان وعدم القصاص منهم، ومنذ وقوع التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، كانت البداية الحقيقية للافتراق بظهور الخوارج والرافضة. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٥٢).

ويعتبر الخوارج هم أول من فارق الجماعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون»، والخوارج هم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب مع استحلال دمائهم، ومن أسمائهم الناصبة لمناصبتهم العداء لعلي رضي الله عنه، وكان ظهورهم سنة ٣٧هـ ببيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبي. (الموسوعة الميسرة ص٥٣).

والإباضية هي إحدى فرق الخوارج، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي الذي يعتبر نفسه امتدادًا للمحكمة الأولى من الخوارج، ومع أن الإباضية ليسوا من غلاة الخوارج فإنهم يتفقون معهم في كثير من المعتقدات، والتي منها:

١- تعطيل الصفات الإلهية التي أثبتها رب العالمين لذاته، أو أثبتها له نبيه ﷺ، وتعطيلهم للصفات انطلق من منطلق عقدي حيث يزعمون أنهم لجاوا للتأويل حتى لا يقعوا في دائرة التشبيه والتمثيل، فحادوا عن المنهج الوسط منهج أهل السنة الذي أثبت لرب العالمين ما أثبته لنفسه من صفات دون تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، يقول الله عز وجل: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الشورى: ١١).

٢- ينكرون رؤية الله في الآخرة، مع تضافر الأدلة عليها؛ يقول الله عز وجل: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» (القيامة: ٢٢، ٢٣)، ويقول سبحانه: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ» (يونس: ٢٦)، والزيادة: هي النظر إلى رب العالمين كما فسرها سيد المرسلين ﷺ، وفي الحديث المتواتر: «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته».



إعداد/ أسامة سليمان

٣- يؤولون بعض أمور الآخرة تأويلاً مجازيًا كالميزان والصراط، وهذا هو التأويل المذموم الذي لا يستند إلى قرينة ولا دليل، إنما يعتمد على الهوى، شأنهم شأن بني إسرائيل الذين قال لهم رب العالمين: «ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ»، فحرفوا الفعل والقول حيث دخلوا على مقاعدهم وقالوا: حنطة.

٤- يقولون بخلق القرآن، وقد وافقوا الخوارج في ذلك القول، يقول الأشعري في مقالات الإسلاميين: «والخوارج جميعًا يقولون بخلق القرآن»، ولا يخفى عليك ما في هذا القول من زندقة وإلحاد.

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: «من قال إن القرآن مخلوق فهو زنديق». فالقرآن كلام الله والقول بخلقه وصف للخالق سبحانه بالتغير والحدوث وصدق سبحانه «أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (الأعراف: ٥٤).

٥- ينكرون الشفاعة في الآخرة، فعصاة الموحدين عندهم مخلدون في النار، وهذا المعتقد يعارض ما ثبت في الكتاب والسنة من ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر الذين ماتوا على التوحيد، يقول ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، ويقول الله سبحانه وتعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ» (البقرة: ٢٥٥)، ويقول عز وجل: «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ» (غافر: ١٨)، والظالمون في الآية الكريمة هم الكافرون، أما المؤمنون الذين ثبت لهم الإيمان مع المعاصي فالشفاعة في حقهم ثابتة بنصوص القرآن والسنة المتواترة، فكيف يستوي أهل الكفر مع أهل الإيمان، ورب العالمين يقول: «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (القلم: ٣٥، ٣٦).

٦- مرتكب الكبيرة عندهم كافر كفر نعمة أو كفر نفاق لا كفر ملة، وهم بذلك يخالفون أهل السنة الذين يطلقون على مرتكب الكبيرة فاسق أو عاص، فالكبائر لا تخرج صاحبها من دائرة الإيمان كما هو اعتقاد أهل السنة، يقول سبحانه: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» (الحجرات: ٩)، ووجه الدلالة أنهما مع قتالهم فاسم الإيمان لم يفارقهم.

٧- ينفون شرط القرشية في الإمامة، فكل مسلم صالح للإمامة إذا ما توافرت فيه شروطها مع جواز خلع الإمام الذي انحرف وتولية غيره إذا كانت الظروف مواتية والمضار قليلة، أما إذا كانت الظروف غير مواتية والمضار كثيرة فهذا الجواز عندهم يصل إلى المنع.

٨- الإمامة بالوصية باطلة عندهم بخلاف الرافضة فاختيار الإمام عند الإباضية يتم عن طريق البيعة مع جواز تعدد الأئمة في أكثر من مكان.

٩- يقع بعضهم في بعض أصحاب رسول الله ﷺ كعثمان وعلي ومعاوية وعمرو بن العاص، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد انشق عن الإباضية عدة فرق غالت وانحرفت حتى تبرأ منهم الإباضية لكفرهم وشططهم كالحفصية والحارثية واليزيدية.

وختامًا فإن للإباضية دولتهم المستقلة في عمان، ويتواجدون بنسب عالية في ليبيا وتونس والجزائر.

والله من وراء القصد.

المراجع والمصادر

- الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر.
- الإباضية، لجابر طعيمة.
- الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي يحيى.
- الإباضية دراسة تاريخهم وأصولهم، علي يحيى.



تبصير الأمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد:

فجماعة أنصار السنة المحمدية منذ أن تأسست على يد رعيلها الأول، وعلى امتداد تاريخها الدعوي المبارك وهي تعتقد معتقد الفرقة الناجية الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة في التوحيد وأصول الإيمان، وقد استقينا أصول هذا المعتقد من القرآن والسنة وأقوال علماء سلف الأمة، فهذا ديننا، وهذه عقيدتنا التي ندين الله عز وجل بها. نضعها بين يدي القارئ الكريم حتى يعلم الجميع عقيدتنا، فنقول مستعينين بالله عز وجل:

إعداد/ معاوية محمد هيكل

أولاً: الإيمان بالله

التوحيد هو أول الدين وآخره وظاهره وباطنه. وهو دعوة جميع الرسل، وأول واجب على المكلف، وحق الله على عباده، وأول مسألة في الدعوة إلى الله عز وجل، فمن أجل التوحيد خلق الله الخلق، وعليه يكون مصيرهم في الآخرة، والشرك أكبر الكبائر، وأول ما ينهى عنه كما نصت على ذلك نصوص الشريعة، وأصل التوحيد إفراد الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وإفراده بصفات الربوبية وما يستلزم ذلك من إفراد الله تعالى بكل ألوان العبادة الظاهرة والباطنة، وهذا مقتضى كلمة «لا إله إلا الله».

أقسام التوحيد

١- توحيد الربوبية:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو الرب الخالق الرازق، الذي يدبر الأمر ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويحيي ويميت، لا شريك له في ذلك، وهو المالك لكل ذرة في هذا الكون بلا ند ولا معين، ولا شفيع بغير إذنه، وهو وحده السيد الآمر الذي لا يشرع للبشر غيره، قد دل على ذلك الشرع والنقل.

ومن مظاهر الشرك في الربوبية:

أ- اعتقاد حلول الرب في بعض خلقه أو اتحاده بهم.

ب - الاعتقاد بأن في الكون أقطاباً وأبدالاً من الصالحين أو غيرهم لهم قدر من التصرف في حياة الناس من نفع وضر وإعطاء ومنع قال تعالى: «وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (الأنعام: ١٧).

جـ- الاعتقاد بأن أرواح الأولياء والصالحين لها تصرف بعد موتهم حتى أصبحت المشاهد والقبور والأضرحة ملاذ كل خائف وملجأ كل محتاج.

د- الرهبة من الجن والخوف منهم، والاستغاثة بهم وتقديم القرابين لهم اعتقاداً أن لهم تصرفات خارجة عن إرادة الله وتدبيره وذلك شرك في الربوبية.

٢- توحيد الأسماء والصفات:

قال تعالى: «وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» (الأعراف: ١٨٠)، فالإيمان بأسماء الله وصفاته، ودعاؤه بها والتعبد له بمقتضاها أشرف العلوم لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وطريق التلقي في ذلك هو القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، فنؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ؛ من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ وليس العقل وعلم الكلام والفلسفة مصدراً في معرفة ذلك، ولا يجوز تشبيه الله بخلقه ولا تعطيل صفة من صفاته سبحانه، قال تعالى: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (الإخلاص: ٤)، وقال سبحانه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الشورى: ١١)، والكف عن التأويل في هذا الباب هو إجماع علماء السلف، وإجماعهم حجة على من بعدهم لا تجوز مخالفته، وطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم، والتأويل كقول البعض (استوى:

بعقيدة أنصار السنة

الحلقة الأولى

بمعنى استولى، واليد: بمعنى القدرة ,والنزول: بمعنى نزول الأمر) بدعة وليس من عقيدة أهل السنة والجماعة، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن إثبات ذات الرب إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف؛ إذ ذاته سبحانه وتعالى لا تشابه ذوات المخلوقين، وكذلك صفاته سبحانه وتعالى لا تشابه صفات المخلوقين، والسلف يثبتون الصفة دالة على معناها مع تفويض الكيفية إلى الله تبارك وتعالى، كقول مالك رحمه الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. فتفويض السلف تفويض كيف لا تفويض معنى، ومن نسب إليهم تفويض المعنى، وأن آيات الصفات من المتشابه بمعنى أنه لا يعلم معناها بالكلية، وأن ظاهرها غير مراد فقد جمع بين التعطيل والجهل بعقيدة السلف.

٣- توحيد الألوهية:

الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو الإله الحق المستحق للعبادة دونما سواه، وتحقيق هذا التوحيد يقتضي صرف جميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة لله وحده، وطريقة القرآن الكريم هي إلزام المشركين بتوحيد الألوهية بكونهم يقرون بإفراد الله بالربوبية، فمشركو العرب وأهل الكتاب وغيرهم كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، ومع ذلك صرفوا العبادة لغير الله، قال تعالى: «أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ» (النمل: ٦٤)، و«لا إله الا الله» هي كلمه التوحيد ومعناها لا معبود بحق إلا الله، قال تعالى: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا» (البقرة ٢٥٦)، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام ١٦٣ ، ١٦٢).

ومن مظاهر الشرك في الألوهيه :

١- دعاء غير الله والاستغاثة به (فيما لا يقدر عليه إلا الله) وطلب المدد منه، قال تعالى «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا» (الإسراء: ٥٦).

٢- الاستعاذة بغير الله، كالاستعاذة بالجن وغيرهم، قال تعالى: «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» (الجن: ٦).

٣- الذبح لغير الله، قال تعالى: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» (الكوثر: ٢). وقال رسول الله ﷺ«لعن الله من ذبح لغير الله» (رواه مسلم).

٤- التبرك بالأحجار والأشجار اعتقادًا أنها تنفع وتضر؛ لحديث ابي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط. كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرئيل لموسى: «اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم» (رواه الترمذي وصححه). وكذلك لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم لدفع البلاء أو رفعه. قال رسول الله ﷺ «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» (صحيح الجامع ١٦٢٣).

٥- الاستسقاء بالأنواء؛ للحديث القدسي: «من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب». فالاعتقاد بأن النجوم تنزل المطر وكذلك طلب ذلك منها شرك أكبر، أما ذكر ذلك باللسان مع سلامة المعتقد بأن الله تعالى هو المصرف للأمور لكن الأنواء علامة على مجيء المطر، فالراجح تحريمه.

٦- إتيان العرافين والكهان وتصديقهم فيما يدعون من علم الغيب، والاعتقاد أنهم يعلمون مفاتح الغيب الخمسة هو شرك أكبر، قال تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» (الأنعام: ٥٩)، فلا يحل تعلم الكهانة، ولا سؤال الكهان، كما لا يجوز قراءة الفنجان والكف، أو ضرب الرمل و الودع؛ لقوله ﷺ: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد» (رواه احمد والحاكم وصححه الألباني في الإرواء).

٧ - السحر، قال تعالى: «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» (البقرة: ١٠٢)، والسحر له حقيقة وتعلمه وتعليمه حرام وفي تكفير الساحر تفصيل عند أهل العلم

٨- الغلو في الصالحين وبناء المشاهد والمساجد على قبورهم وإقامة الموالد حولها وشد الرحال إليها مما حذر منه النبي ﷺ أشد التحذير، فقال ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذر ما صنعوا. متفق عليه. وقال ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيدًا» (رواه أبو داوود وصححه الألباني).

وقد صرف القبوريون العبادات كالذبح والنذر وغير ذلك لغير الله بزعم محبة الأولياء والصالحين، وهذا من أعظم أسباب البلاء، لذلك كان من أهم الواجبات على الدعاة إلى الله محاربة هذه البدع.

٩ - التوسل في الدعاء، يعني دعاء الأموات والغائبين؛ بدعة بالاتفاق، وكذلك التوسل بمعنى السؤال بالحق والجاه والذات، فالصحيح منعه إذ لم يرد عن الصحابة رضي الله عنهم، بل تركوا ذلك مع وجود المقتضي وانتفاء الموانع، فإن اعتقد المتوسل أن معنى الجاه تصريف الكون والنفع والضر فيكون بذلك شركاً، كذلك دعاء غير الله وطلب المدد منه على جهة الشفاعة، فهذا شرك أكبر، والمشروع في التوسل إلى الله تعالى أن يكون بأسمائه وصفاته وبالعمل الصالح وبدعاء الصالحين الأحياء، كأن تطلب ممن تتوسم فيه الصلاح أن يدعو لك.

١٠- الشفاعة الشركية من جنس ما يعتقده المشركون في الأصنام أنها تشفع عند الله بغير إذنه كما يشفع الوزراء عند الملوك ، أما الشفاعة الشرعية يوم القيامة فهي لمن أذن الله له من النبيين والملائكة والصالحين، وتكون شفاعتهم لأهل التوحيد خاصة.

وهكذا فالشرك ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر.

فالشرك الأكبر: صرف أي عبادة من العبادات لغير الله تعالى.

والشرك الأصغر: كل ذريعة أو سبب يؤدى إلى الشرك الأكبر كالرياء أو الحلف بغير الله وما يجرى على الألسنة كقولهم ما شاء الله وشئت ,توكلت على الله وعليك، وكذلك التطير، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا وحكم الشرك الأصغر حكم الكبائر، فصاحبه لا يخلد في النار.

ثانياً: الإيمان بالملائكة

١- نؤمن بأنهم عباد مكرمون خاضعون لربهم مشفقون بررة مقربون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٢- خلقهم الله عز وجل من نور ليسوا بنات لله، ولا أولادًا، ولا شركاءَ معه ولا أنداداً.

٣- من صفاتهم الخلقية أن لهم أجنحة يتفاوتون في عددها، قال تعالى: «أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ» (فاطر: ١)، لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يفترون عن طاعة الله عز وجل، مطهرون من الشهوات، منزهون عن الآثام والخطايا، يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم، ولديهم مقدرة على التشكل، ولديهم سرعات كبيرة، وقدرات عظيمة.

٤- منهم جبريل الموكل بالوحي، وميكائيل الموكل بالقطر، وإسرافيل الموكل بالصور، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، وله أعوان، ومنهم الموكل بكتابة الأعمال، ومنهم الموكل بحفظ العبد في كل حالاته ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة جهنم، ومنهم حملة العرش، وغيرهم ممن لا يحصيهم إلا الله.

٥- ويجب على المؤمن أن يحب جميع ملائكة الله، ومن عادى أحدًا منهم فهو كافر «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ» (البقرة: ٩٨)، وعليه أن يتشبه بالملائكة في المداومة علي الطاعة وتسوية الصفوف في الصلاة ويبتعد عن إيذائهم بالمعاصي والذنوب.

ثالثاً: الإيمان بالكتب

١- نؤمن بالكتب كلها وأنها منزلة من عند الله، وأنها كلام الله لا كلام غيره تكلم الله بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد.

٢- الاعتقاد بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم التي نزلت فيهم هذه الكتب الانقياد لها والحكم بما فيها.

٣- الاعتقاد بأن جميع الكتب المنزلة يصدق بعضها بعضاً.

٤- الإيمان بأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نُسخت شريعة التوراة بالإنجيل، كما قال تعالى في حق عيسى «ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم» (آل عمران: ٥٠). وكما نسخت شريعة الإسلام ما قبلها من الشرائع.

٥- الاعتقاد كذلك أن نسخ القرآن بعضه ببعض حق قال تعالى: «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها» (البقرة:١٠٦).

٦- يجب الإيمان بما سمي الله في كتابه منها: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسي.

٧- القرآن مهيمن علي ما قبله من الكتب، أي شاهد مصدق لما فيها من الحق، مبين لما زاده أهل الملل السابقة عليها، مما ليس منها، ولما نقصوه،

وبدلوه، وحرفوه.

٨- ما بأيدي أهل الكتاب اليوم من كتب، هي مما وقع فيه التحريف بنص القرآن إما تحريف كتاب «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» (البقرة:٧٩). أو تحريف لسان قال تعالى: «وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب» (آل عمران:٧٨) أو تحريف معاني: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ». (المائدة:١٣).

٩- والقرآن كلام الله حقيقة، حروفه ومعانيه، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، ولا يسع أحدًا الخروج عن شريعته إلي يوم الدين.

رابعاً: الإيمان بالرسل

الرسول من أوحى الله إليه وأمره بتبليغ رسالة، والنبي من أوحى الله إليه، ولم يؤمر بتبليغ رسالة، والرسل جميعهم دينهم واحد، وهو الإسلام «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ» (آل عمران:١٩).

ودعوتهم واحدة هي التوحيد، وكلهم صادقون مصدقون، بارون راشدون، هداة مهتدون أتقياء أمناء كرامٌ بررة، بلغوا كل ما أمروا به، والكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، وكفر بالله الذي أرسلهم، وأفضلهم أولوا العزم: محمد، وإبراهيم، وموسي، وعيسي، ونوح صلي الله عليهم وسلم أجمعين ، وخاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ والتفضيل بينهم لله لا للناس، ولا يكون بانتقاص المفضول، ومعني عدم التفريق بين أحد منهم أي في الإيمان بهم جميعاً، وإن كان بعضهم أفضل من بعض.

والرسل رجال، وبشر من البشر، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وجعل الله لمن شاء منهم أزواجاً وذرية، فلا يُعبدون ولا يُغالى فيهم، وقد خصهم الله بالأخلاق العظيمة: من الصدق، والأمانة، والطهر والنزاهة، وعصمهم من المعاصي، وأجمع أهل السنة علي عصمتهم من الكبائر، والصحيح أن لهم العصمة من الصغائر أيضاً، لا من النسيان، والسهو، وسائر العوارض البشرية، لذا فهم قدوة للعباد «أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ» (الأنعام:٩٠).

ويجب الإيمان بالأنبياء الذين ذكرهم الله عز وجل في القرآن، والإيمان بأن هناك رسلاً آخرين لم يقصهم الله علي نبيه في القرآن.

واتباع محمد ﷺ فرض علي كل مكلف من الإنس والجن إلى يوم القيامة، إذا بلغته رسالته، لا يقبل الله من أحد صرفاً ولا عدلاً إلا أن يؤمن به ويتبعه.

قال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» (الأعراف:١٥٨).

وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا أدخله الله النار». (رواه مسلم).

وكل من ادعي النبوة بعد النبي محمد ﷺ فهو كافر لا يجوز تصديقه، قال تعالى: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» (الأحزاب:٤٠)، وقال النبي ﷺ: «لا نبي بعدي». فطوائف البابية والبهائية والقاديانية وما شابهها كلها خارجة من ملة الإسلام تجري عليها أحكام المرتدين، والمسلمون هم أتباع كل الأنبياء إذ دين الأنبياء واحد - هو الإسلام - وإنما تعددت الشرائع، وشريعة الإسلام مهيمنة علي سائر الشرائع.

وكل نبي أفضل من جميع الأولياء بالإجماع، والصحابة هم سادات الأولياء بعد الأنبياء وكل مؤمن تقي ولي من أولياء الله، وبحسب إيمانه وتقواه تكون ولايته له تعالى.

والنبوة لا تنال بالكسب والاجتهاد، بل هي فضل ومنة من الله: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» (الأنعام: ١٢٤)، وإذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي علي الماء فلا تصدقه حتى يعرض عمله علي القرآن والسنة، فهذا هو الفارق بين الكرامة الرحمانية والخارقة الشيطانية، والاستقامة هي أعظم كرامة.

خامساً: الإيمان باليوم الآخر

ويشمل الإيمان بالموت وسؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه، وعلامات الساعة، والبعث والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار.

١- الموت حق علي جميع المخلوقات: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ» (القصص: ٨٨)، والمقصود الأعظم هو الاستعداد له قبل نزوله بالإيمان والعمل الصالح.

٢- يجب الإيمان بسؤال الملكين لكل ميت عن ربه، ودينه، ونبيه، وأن العبد إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وذلك يحصل لروحه وبدنه، ومن كذب بهذا فهو ضال مبتدع.

٣- ويجب الإيمان بأشراط الساعة الصغرى والكبرى.

فمن الصغرى: رفع العلم، وظهور الجهل، وضياع الأمانة، وكثرة النساء، وكثرة القتل، وغيرها مما ثبت في النصوص.

ومن الكبرى: ظهور المهدي، وظهور المسيح الدجال، ونزول عيسي ابن مريم يحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، (أى لا يقبلها) ويقتل الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، والخسف، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وآخر ذلك نار تخرج من

اليمن تطرد الناس إلي محشرهم.

٤- ولا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله، فلا يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

ويجب الإيمان بالنفخ في الصور، وقيام الأجساد بعد عودة الأرواح إليها والحساب والميزان والصراط، وكتب الأعمال التي تؤخذ باليمين أو بالشمال، والشفاعة، والحوض، مما استفاضت به الأحاديث.

٥- الإيمان بالجنة والنار، وهما موجودتان الآن، لا تفنيان أبداً ولا يفنى من فيهما، ونعيم الجنة، حسي ومعنوي، وأعظم نعيم أهل الجنة النظر إلي وجه الله تعالى بأبصارهم، والنار كذلك عذابها حسي ومعنوي، ولا يبقى فيها أحدٌ من أهل التوحيد ممن قال: لا إله إلا الله، بل لابد أن يخرجوا منها بشفاعة الشافعين وبرحمة رب العالمين.

سادساً: الإيمان بالقدر

ونؤمن بالقدر خيره وشره، فمن كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: والقدر سر الله تعالي في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتسليم بالقدر إنما يكون في المصائب لا في المعايب، إذ لابد من الانتهاء عنها شرعاً، كما لابد من بذل الوسع في تعاطي ما أمر الله به من الأسباب، ومراتب القضاء ومشيئته وخلقه لها.

١- الإيمان بعلم الله السابق:

وذلك أن نؤمن بان الله تعالى عليم بالخلق وبما هم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

٢- ثم الإيمان بكتابة الله سبحانه وتعالى المقادير ويدخل فيه خمسة تقادير:

أ- التقدير [(الأزلي] كتابة المقادير قبل خلق السماوات والأرض قال تعالى «وكل شيء أحصيناه في إمام مبين» (يس:١٢).

ب- وتقدير [شقاوة العباد وسعادتهم] وأخذ الميثاق:

قال تعالى: « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الأعراف: ١٧٢ : ١٧٤).

جـ- والتقدير [العمري] وهو تقدير شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وهم في بطون أمهاتهم.

د- والتقدير [الحولي] في ليلة القدر:

يقدر كل ما يكون في السنة إلى مثلها، قال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» (الدخان: ٣:٥).

هـ- والتقدير [اليومي] قال تعالى: «يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » (الرحمن:٢٩).

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكًا فيؤمر بأربع كلمات؛ فيقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ونحو ذلك فهذا التقدير كما يقول ابن تيمية كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل.

٣- الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة:

وذلك أن نؤمن بمشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة وان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن، وأن ما في السماوات وما في الأرض من حركة أو سكون هو بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وانه سبحانه علي كل شيء قدير. فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

٤- الإيمان بأن الله عز وجل خالق أفعال العباد وقدراتهم وإرادتهم:

فالعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وإرادتهم.

كما قال تعالي: «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (التكوير:٢٨، ٢٩)، وهذه الدرجة - كما يقول ابن تيمية رحمه الله - يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ «مجوس هذه الأمة»، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات الذين سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن افعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها. وللحديث بقية إن شاء الله.

والله من وراء القصد.

إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين... أما بعد:

فما نزال نعيش مع صور الإخلال الواقع في أركان الصلاة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٦- الإخلال الواقع في ركن السجود

قبل أن نبين الإخلال لا بد أن نعرض هيئة السجود الواجبة التي بينها النبي ﷺ، وهي السجود على سبعة أعضاء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «امرت أن أسجد على سبعة أعظم، على الجبهة، وأشار إلى أنفه، واليدين والركبتين وأطراف القدمين، ولا نكفت الثياب والشعر» (متفق عليه).

فالأعضاء السبعة هي: القدمان والركبتان، واليدين، والجبهة، والأنف منها، فالأنف من الجبهة حكمًا لا حقيقة، إذ لو كان من الجبهة حكمًا وحقيقة ما أشار إليه ولو كان عضوًا مستقلاً لنص عليه وجعله مستقلاً وقال: «وعلى الجبهة وعلى الأنف»، فدلت إشارته ﷺ إلى أنفه بعد قوله: «على الجبهة» على أنه تابع لها حكمًا لا حقيقة، فلا بد أن يسجد المسلم على هذه الأعضاء التي حددها النبي ﷺ.

حكم وضع حائل بين العضو وبين ما يسجد عليه الحوائل تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم من أعضاء السجود:

كأن يضع جبهته على كفيه مثلاً، أو يضع يديه إحداهما على الأخرى، أو يضع إحداهما على الأخرى، فهذا السجود عليه حرام، ولا يجزئ السجود، لأنه إذا فعل ذلك فكأنما سجد على عضو واحد.

الثاني: قسم من غير أعضاء السجود لكنه متصل بالمصلي:

مثل الثوب الذي يليه المصلي، وطرف العمامة وما أشبهها، فهذا السجود عليه مكروه ولا يباح إلا لحاجة، وذلك لقول أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نصلي مع النبي ﷺ في شدة الحر فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه». (متفق عليه). فمن لم يستطع أن يسجد إلا مع وجود حائل متصل فليس عليه حرج في ذلك، أما من وضع الحائل دون حاجة فمكروه.

الثالث: قسم منفصل:

مثل أن يسجد على سجادة، فهذا جائز ولا شيء فيه، وذلك لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى على الخُمرة. (متفق عليه). وهي عبارة عن خصيف من النخل يسع جبهة المصلي وكفيه فقط، ولكن ذكر بعض أهل العلم أنه يكره أن يخص جبهته فقط بما يسجد عليه وذلك لمشابهة من يفعل ذلك بالشيعة الرافضة حيث يتخذون قطعة من المدر كالفخار للسجود عليها لظنهم أنه لا يجوز السجود إلا على شيء من جنس الأرض فلا يجوز السجود عندهم على الحصير أو السجاد.

صور الإخلال

١- أن يسجد على حائل من أعضاء السجود: كما ذكرنا في القسم الأول؛ كان يضع جبهته على كفيه أو يضع يديه إحداهما على الأخرى، أو يضع رجليه إحداهما على الأخرى.

٢- أن يترك السجود على هذه الأعضاء أو بعضها مع القدرة على السجود عليها، فلو سجد على جبهته دون أنفه، فقد أخل بركن السجود، ولو سجد على أصابع يديه رافعًا يديه فقد أخل بركن السجود لضرورة وضع الكفين على الأرض، ولو رفع رجليه أو إحداهما فقد أخل بركن السجود، فلا يجوز للمصلي أن يرفع عضوًا من أعضائه حال سجوده لا يدًا، ولا رجلاً، ولا أنفًا ولا جبهة فإن فعل ذلك في جميع حال السجود، فإن سجوده لا يصح لأنه نقص عضوًا من الأعضاء التي يجب أن يسجد عليها، وأما إذا كان في أثناء السجود - أي بعضه - فقد قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أما إن كان في أثناء السجود؛ بمعنى أن رجلاً حكته رجله مثلاً فحكها بالرجل الأخرى، فهذا محل نظر، قد يقال: إنها لا تصح صلاته لأنه ترك هذا الركن في بعض السجود». اهـ. من الشرح الممتع.

فإن عجز المصلي عن السجود فهنا نفرق بين حالتين:

الأولى: أن يعجز عن السجود بجميع أعضائه السبعة، فهذا لا شيء عليه؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

ما استطعتم» (التغابن: ١٦)، ولقوله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم». (متفق عليه). ومثاله أن يصلي وهو جالس على كرسي فلا يستطيع أن يسجد على جبهته ولا على يديه وركبتيه.

الثانية: أن يعجز عن السجود ببعض هذه الأعضاء، فعليه أن يسجد على باقيتها، ومثاله أن تكون إحدى يديه جريحة فلا يستطيع أن يسجد عليها، فليسجد على الأخرى، أو يكون الأنف جريحاً فليسجد على جبهته، أو تكون الجبهة والأنف جريحين، فيومئ برأسه ويسجد بيديه وركبتيه ورجليه، ومن هنا يتضح لك أيها القارئ الكريم ما يقع فيه كثير من المصلين من إخلال بركن السجود، فهذا لا يضع أنفه على الأرض، وذاك يرفع رجليه، وثالث يسجد على أطراف أصابع يديه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣- أن يترك السجود متعمداً سواء ترك السجود الأول أو ترك السجود الثاني.

٤- أن ينسى إحدى السجدتين أو كليهما ثم لا يأتي بها أو بهما - إذا لم يصل إلى نفس الركن المتروك من الركعة التالية وإلا أتى بركعة كاملة ولا يحسب التي ترك فيها الركن - وذلك إذا ذكره المصلون.

٧- الإخلال الواقع في ركن الجلوس بين السجدتين:

أ- وذلك بأن يترك الجلوس متعمداً.

ب- أو ينسى الجلوس ثم لا يأتي به بعد تذكيره.

٨- الإخلال الواقع في ركن التشهد الأخير والجلوس له:

سبق وأن ذكرنا عند الحديث عن أركان الصلاة أن التشهد الأخير ركن من أركان الصلاة وليس من واجباتها ويكون الإخلال فيه كالآتي:

أن يترك التشهد الأخير فلا يأتي به أصلاً، أو يستبدله بغيره، أو يقوم من السجود ويقرأ التشهد قائماً - من غير عذر - إذ يجب أن يجلس للتشهد.

وصيغة التشهد التي وردت عن النبي ﷺ هي:

أ- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: علمني رسول الله ﷺ التشهد - كفي بين كفيه - كما يعلمني السورة من القرآن: «التحيات لله، والصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». (متفق عليه).

ب- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، فيقول: قولوا: «التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». (اخرجه مسلم).

ج- قال مالك: «أفضل التشهد تشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: التحيات لله الزاكيات لله الصلوات لله»، وسائره كتشهد ابن مسعود.

وما هو الراجح منها:

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «من العلماء من رجح ومنهم من جمع، أما من رجح فقال: ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم أرجح، فاختار تشهد ابن مسعود، وأما من جمع فقال: كلاهما صحيح ولكن اقول هذا مرة، وأقول هذا مرة، وهذه الطريق أحسن وأفضل من الطريق الأولى، أعني الجمع بين ما يمكن جمعه فيقال مرة هذا، ومرة هذا، وهذه طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وفي سلوكها فوائد:

أ- تحقيق اتباع السنة: حيث عملت بالوجهين، ولو رجحت لتركت العمل بوجه من وجوه السنة.

ب- في سلوك هذه الطريقة إحياء السنة، لأنك إذا لم تعمل بها نسيتها فماتت وهذا مشاهد، فلو سالت كثيراً، طلبة العلم كيف تشهد عبد الله بن عباس فإنه لا يدري، لأنه لم يعمل به، فكونك تعمل به يكون إحياء للسنة.

جـ- أنه أدعى لحضور القلب: لأن الإنسان إذا راعى عند الذكر أنه يختار هذا أو هذا حضر قلبه، لكن إذا أمسك بوجه واحد من وجوه الذكر صار يقوله من دون شعور كأنه عادة. (اهـ. من الشرح الممتع).

٩- الإخلال الواقع في ركن الترتيب:

وذلك بأن يأتي بالأركان على غير هيئتها التي علمنا النبي ﷺ إياها كأن يسجد قبل أن يركع مثلاً، أو يقعد قبل أن يسجد فصلاته غير صحيحة.

١٠- الإخلال الواقع في ركن الطمأنينة:

ما هو الاطمئنان الذي هو ركن؟ اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: قالوا: السكون وإن قل، حتى وإن لم يتمكن من الذكر الواجب.

الثاني: قالوا: السكون بقدر الذكر الواجب، ففي الركوع يطمئن بقدر ما يقول: «سبحان ربي العظيم» مرة واحدة، وفي الاعتدال منه بقدر ما يقول: «ربنا ولك الحمد»، وفي السجود بقدر ما يقول: «سبحان ربي الأعلى»، وفي الجلوس بقدر ما يقول: «ربِّ اغفر لي».

الراجح: القول الثاني القائل بأن الطمأنينة بقدر القول الواجب في الركن، وحتى يرجع كل فقار إلى موضعه.

صور الإخلال:

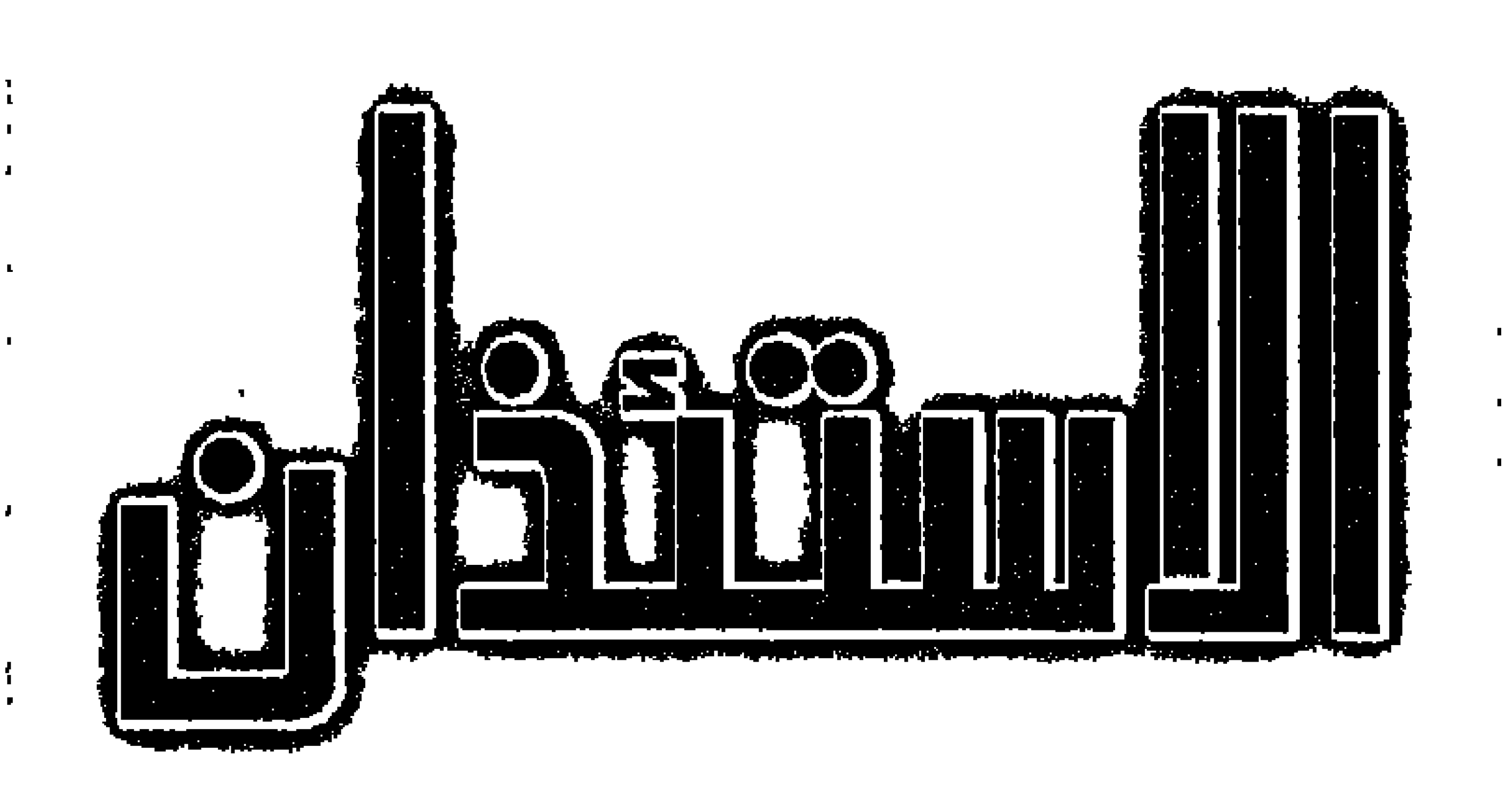
ألا يأتي بالركوع على هيئته فتراه ينحني انحناءة يسيرة، وإذا رفع من الركوع فلا يعتدل قائماً، بل يهوي من الركوع إلى السجود، وإذا سجد نقر في صلاته كنقر الديك ولا تستغرق منه الصلاة سوى دقائق معدودة لا تكفي لصلاة ركعة واحدة!!

١١- الإخلال الواقع في ركن التسليم:

وصورته أن يترك التسليمتين أو يسلم تسليمة واحدة، سواء ترك التسليمة متعمداً أو ناسياً ولم يفعله حال تذكيره من المصلين.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من الآداب الإسلامية



الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه... وبعد:

فقد جاء الإسلام بأحكام سامية، وآداب راقية، لكن أهملها كثير من الناس، فأحببنا أن نذكر بجملة من هذه الآداب الاجتماعية الإسلامية التي دَرَسَتْ بين الناس، امتثالاً لقول الله تعالى: «وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» (الذاريات: ٥٥)، ولقول الرسول ﷺ: «الدين النصيحة...» (رواه مسلم).

وسبق أن تحدثنا عن التحية المباركة «السلام» وأحكامه، ويأتي الحديث بعد ذلك عن أدب رفيع يراعي حرمة البيوت، واحترام خصوصيات الناس وهو «الاستئذان».

إعداد/ سعيد عامر

أولاً: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» (النحل: ٨٠).

لقد جعل الله تعالى البيوت سكنًا يفيء إليها الناس فتسكن أرواحهم، وتطمئن نفوسهم، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم، وهي كالحرم الآمن لأهله، لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم، وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس.

فالإسلام ضمن للفرد أن يعيش آمنًا مطمئنًا في بيته، وحذر الآخرين من أن يطلعوا على البيوت - بيوت غيرهم - من الخارج، وأن يدخلوا من غير إذن صاحبه، فأمر بالاستئذان عند إرادة الدخول، بل وبالتلطف عند طلب الاستئذان، وبالسلام على أهل المنزل؛ لأن ذلك مما يدعو إلى المحبة والوئام، ويجعل الزائر محترمًا مكرمًا مستأنسًا به، وإذا لم يؤذن له فعليه بالرجوع لأن للبيوت حرمة.

ثانياً: مفهوم الاستئذان

لغة: طلب الإذن في شيء ما بمعنى الإباحة، فالاستئذان طلب الإباحة. (المصباح المنير، والقاموس المحيط، مادة: إذن).

شرعًا: طلب الإذن في دخول البيوت للمستأذن، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (النور: ٢٧).

والاستئناس هنا بمعنى الاستئذان؛ لأنهم إذا استأذنوا أو سلموا أنس أهل البيوت بذلك، وهذا يعطي مَعْنًى دقيقًا، فليس المراد من اللفظ مجرد الإذن، إنما المراد معرفة أنس أهل البيت بدخول الزائر عليهم، فكلمة الاستئناس أعم وأشمل من كلمة الاستئذان، فتشمل الاستعلام والاستكشاف.

والمعنى: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال، هل يُؤذنُ لكم أوْ لا ؟ أي: تعرفت واستعلمت، قال تعالى: «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا...» (النساء)، وذلك الاستعلام والاستكشاف إنما يكون بالاستئذان. (راجع: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن).

ثالثاً: حكم الاستئذان

حكم الاستئذان مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإذن، فحيثما توقف حلُّ التصرف على الإذن،

كان الاستئذان فيه واجبًا، كاستئذان الأجنبي لدخول بيت غير بيته. (راجع: موسوعة الفقه، ٣/ ١٤٤، ١٤٥).

فلا يجوز للإنسان أن يدخل بيت غيره بدون الاستئذان، والآية صريحة في ذلك: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا» (النور: ٢٧).

وهذا نهي صريح ظاهره التحريم.

فحكم الاستئذان واجب بإجماع العلماء، والمالكية قالوا: الاستئذان واجب وجوب الفرائض، فمن ترك الاستئذان فهو عاص لله.

رابعًا: حكمة الاستئذان

كانوا في الجاهلية يهجمون على البيوت هجومًا فيدخل الزائر البيت بدون إذن، وكان يقع أن يكون صاحب الدار مع أهله في الحالة التي لا يجوز أن يراهما عليها أحد، وكان يقع أن تكون المرأة عارية أو مكشوفة العورة هي أو الرجل، وكان ذلك يؤذي ويجرح، ويحرم البيوت أمنها وسكينتها، كما يعرض النفوس للفتنة حين تقع العين على ما يثيره.

من أجل ذلك أدّب الله المسلمين بهذا الأدب العالي؛ الاستئذان على البيوت، والسلام على أهلها، لإيناسهم وإزالة الوحشة من نفوسهم قبل الدخول، وحتى يبقى البيت سكنا لصاحبه، ويأوي إليه لراحته، ويستقر فيه، لينجز عملاً، أو يطلب علمًا، أو يرعى أهلاً وولدًا... إلخ. فلو تُركَ وقته نهبًا لكل طارق، فاتت عليه مصالحه، واضطربت أحواله، مما يُضيِّق صدره، ولذا من معاني الاستئذان هل أنت موجود، أم غير موجود ؟ وإن كنت موجودًا، فهل ظروفك تناسب أن تأذن لي ؟... وعليه فلا يجوز الإلحاح في الاستئذان والانتظار أمام الأبواب. قال تعالى: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» (النور: ٢٨).

والآية تنهى عن الدخول في حالتين:

أ- في حالة الاعتذار الضمني: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا»، وهي إشارة إلى عدم الإذن.

ب- في حالة الاعتذار الصريح: «وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا»، وهي تصريح بعدم الإذن الصريح، فربما كان في البيت صاحبه ولم يردّ على الزائر، أو لم يأذن له، فيصدق على المستأذن أنه لم يجد أحدًا، قال العلامة ابن كثير: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها.. أن أستأذن على بعض إخواني فيقول لي: ارجعْ، فارجع وأنا مغتبط لقوله تعالى: «وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ» (النور: ٢٨)، «أَزْكَى لَكُمْ» أي: أطهر وأكرم لنفوسكم وهو خير لكم من الإلحاح والعناد والوقوف على الأبواب، فالرجوع في مثل هذه الحال أشرف وأطهر للإنسان العاقل، فإذا لم يؤذن له فعليه بالرجوع، فذلك خير له من الوقوف على الأبواب، فقد يكون أهل البيت في شغل شاغل عن استقبال أحد من الزائرين.

وإذا لم يكن في البيت أحد فلا يجوز الدخول أو الاقتحام لأن للبيوت حرمة، ولا يحل دخولها إلا بإذن أربابها، وربما كان أهل البيت لا يرغبون أن يطلع أحد على ما عندهم في المنزل من مال أو متاع، وربما أدى الدخول إلى فقدان شيء أو ضياعه ووقعت التهمة على ذلك الإنسان.

وكما يتخذ الإنسان بيتًا لستر نفسه، وعورات أهله، فإنه يتخذه - أيضًا - سترا لأمواله، ومتاعه، وكما يكره الإنسان اطلاع غيره على نفسه، فكذلك يكره اطلاعه على أمواله، فكان الاستئذان لئلا يقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم، ويتحفظون من اطلاع أحد عليها، ولأنه تَصَرُّفٌ في ملك غيره، فلا بد أن يكون برضاه، وإلا أشبه الغصب والتغلب، ففي الحديث الصحيح عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ حُجْرَةٍ في حُجَرِ النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ مِدْرَى - مشط - يَحُكُّ بها رأسَهُ، فقال: «لو أَعْلَمُ أنَّكَ تنظرُ لطعَنْتُ به في عينِكَ، إنما جُعِلَ الاستئذانُ من أجل البصر». متفق عليه.

فيحرم على المستأذن أن ينظر في بيوت غيره على حين غفلة منهم.

روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ اطَّلَعَ في بيت قومٍ بغير إذنهم، فقد حَلَّ لهم أن يفقأوا عَيْنَهُ». وفي رواية: «..ففقأوا عينَهُ، فلا دية، ولا قصاص».

وفي الحديث المتفق عليه: «لو أن رجلاً اطَّلَعَ عليك بغير إذنٍ، فحذفتَهُ بحصاةٍ، ففقأت عَيْنَهُ، ما كان عليك جُنَاحٌ».

وقال شريح القاضي: إذا دخل رجلٌ دار قوم بغير إذنهم، فَعَقَرَهُ كلبهم، فلا شيء عليهم.

وهذا عنترة الشاعر الجاهلي يقول:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي

حتى يُواري جارتي مأواها

وصلى الله وسلم وبارك على عبده المصطفى ورسوله المجتبى، والحمد لله رب العالمين، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

خطر الطلاق

إعداد/ شوقي عبد الصادق

الحمد لله خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، وله الحمد خلق فسوى وقدر فهدى، والصلاة والسلام على رسوله وخليله المجتبى، وبعد:

فإن الزواج هو سنة من سنن الله في الخلق والتكوين، وهي عامة في الإنسان والنبات والحيوان، قال تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» (يس: ٣٦)، وقال: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (الذاريات: ٤٩)، وقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١)، وقال: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» (الأعراف: ١٨٩).

وهذه الحياة الزوجية بين بني الإنسان يحرص شياطين الإنس والجن على هدمها، والإتيان على بنيانها من القواعد، كما قال تعالى: «وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» (البقرة: ١٠٢).

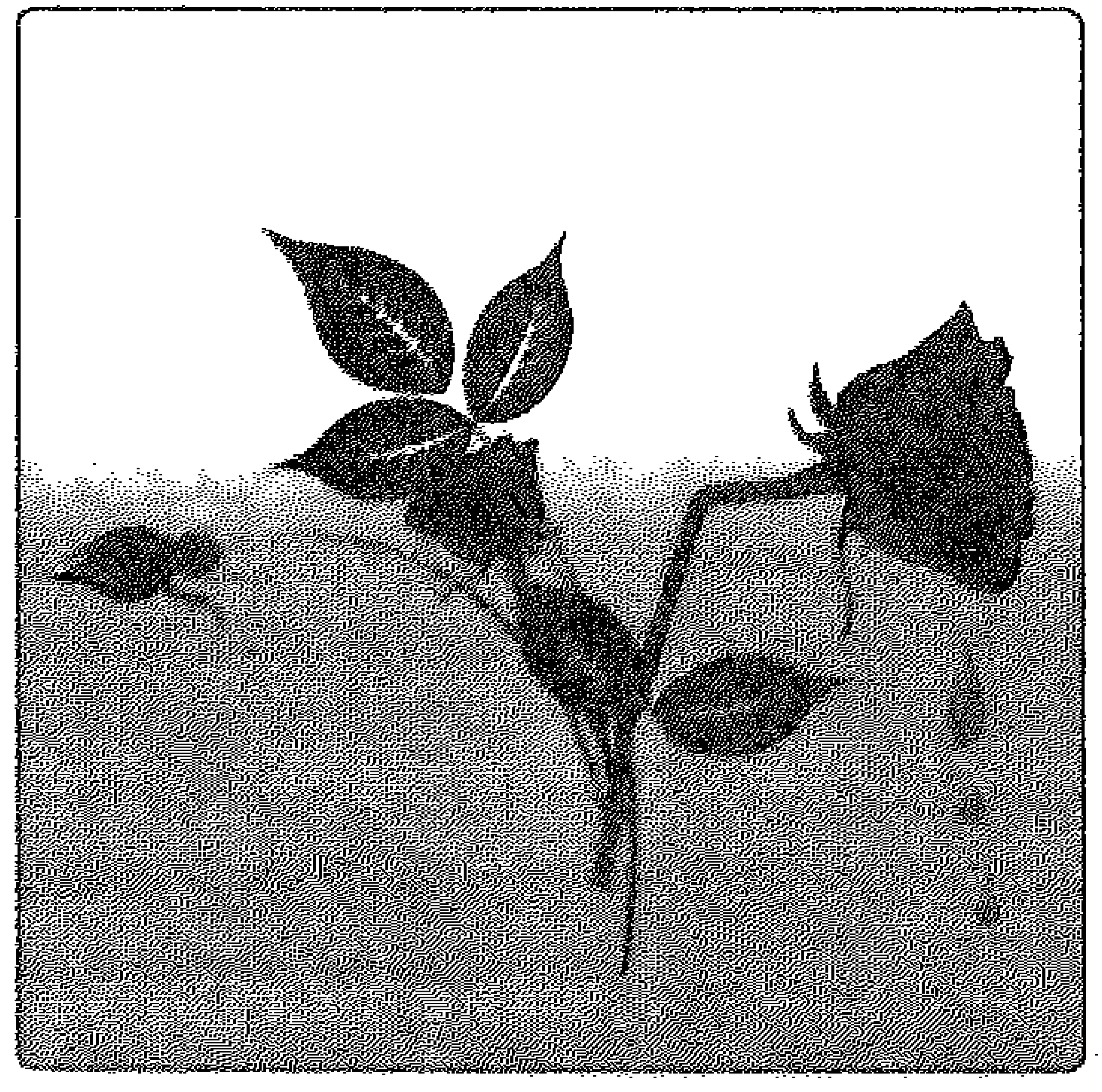
يقول ابن كثير في تفسيرها: أي فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون فيه من الأفاعيل المذمومة، ما إنهم ليفرقون بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف، وهذا من صنيع الشياطين؛ لما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا، فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئًا! ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيقربه ويدنيه ويلتزمه، ويقول: نعْم أنت». (ابن كثير ١/ ٢١٠).

فإن التفريق بين الزوجين مهما طال اجتماعهما، ومهما كان الأنس والمودة بينهما، ومهما كان عَدَدُ وسِنُّ أولادهما، هو أعظم فتنة يحرص عليها الشيطان ليفتن بها بني الإنسان وخصوصًا الإنسان المسلم، حيث إن الأسرة بالمعنى الحقيقي لا وجود لها إلا في المجتمع المسلم، والذي يحرص الشيطان وأعوانه على هدمه وتدميره من خلال تدمير الأسرة، وقد حقق الشيطان وحزبُه شيئًا من ذلك حتى خرجت الإحصائيات في أهرام يوم الاثنين الموافق ١٨ / ٢/ ٢٠٠٠م تقول: إن عدد حالات الخُلع بلغ في سنتين أربعة آلاف وسبعمائة وسبع عشر حالة، ونُشر أيضًا بالأهرام في ٧/ ١/ ٢٠٠٥ أن كل ست دقائق تقع حالة طلاق، هذا هو المنشور، فكيف المستور!!

فقد أصبح من المعلوم لكل ذي بصيرة أن هناك خطرًا يهدد الأسرة المسلمة وهو الطلاق، وبالتأمل في أسبابه وطرق علاجه تبين لنا بتوفيق الله سبحانه وتعالى أن هناك أسبابًا كلية رئيسية تنطوي تحتها أسباب أخرى فرعية، وهذه الأسباب الرئيسة هي:

أولاً: عدم معرفة كل من الزوجين طبيعة الآخر

وعلاجًا لهذه الأمية في الفهم من جانب الرجل والمرأة نستعرض القرآن والسنة، فيكشف لنا القرآن الكريم عن طبيعة كل منهما، يقول تعالى: «فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ



الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (آل عمران: ٣٦)، وقرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب وضعتُ بضم التاء على أنها تاء المتكلم ويكون ذلك من تمام قول امرأة عمران وهي أنثى ويكون كلامها وليس الذكر كالأنثى، فهذه امرأة تقرر ما هو مغروس في الفطرة السليمة التي لم يصبها داء الحضارة الغربية أن الذكر ليس كالأنثى ولا الأنثى كالذكر، وقرأ الجمهور: «وضعت» بتسكين التاء على أنه قول رب العالمين فيكون التقرير الإلهي «وليس الذكر كالأنثى»، فلو تنازل الرجل عن قوامته صار كالأنثى، ولا تستقيم الحياة بين مثلين، وإذا انسلخت المرأة من أنوثتها صارت كالرجل، ولا تستقيم الحياة بين مثلين، فالقوامة صفة ملازمة للرجل؛ لقوله تعالى: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» (النساء: ٣٤)، وهي تعني كما قال ابن كثير أنه رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت؛ لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لن يُفْلح قوم ولوا أمرهم امرأة». (البخاري: ٤٤٢٥).

والقوامة للرجل لقوله تعالى: «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًا كَبِيرًا».

يقول ابن كثير: أي والنساء اللاتي تخافون أن ينشزن على أزواجهن والنشوز هو الارتفاع، فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها التاركة لأمره المعرضة عنه، المبغضة له، فمتى ظهر منها أمارات النشوز فليعظها ويخوفها عقاب الله في عصيانه، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته، وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال، وقال رسول الله ﷺ: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها».

والهجر هو أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها، ويوليها ظهره؛ لقوله عليه السلام: «فإن خفتم نشوزهن فاهجروهن في المضاجع، وإذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران فلكم أن تضربوهن ضربًا غير مبرح». كما ثبت عن جابر عند مسلم: «واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان ولكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف». (ابن كثير ١/ ٦٧٥- ٦٧٧ بتصرف).

ولا يجوز للمرأة إذا حدث خلاف أن تهجر زوجها في الفراش لتأديبه أو تضر به ليطيع أمرها لمخالفة صريح الآية السابقة، ولقوله عليه السلام فيما رواه أبو هريرة: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح». (البخاري ٣٢٣٧).

وليس معنى القوامة من الرجل هي التسلط والتكبر، ولكن مع التقويم والتعليم والتسديد والنصح تكون المساعدة والمعاونة، ويكون الزوج كما كان رسوله الكريم ﷺ، فقد بوب البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: كيف يكون الرجل في أهله؛ عن الأسود قال: سألت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة. (٦٠٣٩).

وقال ابن حجر في معرض شرحه للحديث: وقع في رواية هشام بن عروة عن أبيه: قلت لعائشة: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت: يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم، وعنها بلفظ: «ما كان إلا بشرًا من البشر، كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه».

وعلى المرأة أن تفهم نفسها وطبيعتها وتتواضع وتقرر ما قرره نبي الإسلام أن فيها عوجًا، وفيها نقصًا، وأن هذا الشيء مغروز في خلقتها وفطرتها وفي المادة التي خُلقت منها، فإنها خُلقت كما ذكر الرسول ﷺ فيما أخرجه البخاري كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء: «واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن خُلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا». (البخاري ٥١٨٦).

وقال ابن حجر عن ابن عباس: إن حواء خُلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر. وقال: ويستفاد من هذا الحديث نكتة التشبيه وأنها عوجاء مثله لكون أصلها منه، وقوله: «وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه». فيه إشارة إلى أنها خُلقت من أعوج أجزاء الضلع مبالغة في إثبات هذه الصفة لهن، ويحتمل أن ضرب ذلك مثلاً لأعلى المرأة؛ لأن أعلاها رأسها، وفيه لسانها وهو الذي يحصل منه الأذى.

وقوله: «فإن ذهبت تقيمه كسرته» والضمير للضلع، ويحتمل أن يكون للمرأة لما عند مسلم: «وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها».

وقوله: «واستوصوا بالنساء خيرًا» يؤخذ منه ألا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها أو ترك الواجب، وإنما يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة، وفي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن.

(فتح الباري ٩/ ١٦٢، ١٦٣ بتصرف).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



اسمه: محمد بن أحمد بن محمد باشميل.

مولده: ولد عام ١٣٣٦هـ، وقد تربى يتيمًا في حجر والدته رحمها الله، فقد توفي والده وهو في الثالثة من عمره، ونشأ وترعرع من غير أن يدخل المدارس النظامية، لكنه علم نفسه، فحفظ ألفية ابن مالك، وقرأ القرآن الكريم وبعض متون الفقه الشافعي على بعض مشايخ اليمن، كما تأثر في شبابه بمجلة الهدي النبوي التي كانت تنشر عقيدة التوحيد، وكان يكتب فيها علماء كبار أمثال الشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ أبو الوفاء درويش، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، وشيخ الأزهر الإمام محمود شتلوت، وغيرهم.

هاجر آل باشميل - أجداده رحمهم الله - من منطقة (العَبْر) شمال حضرموت في الطرف الغربي من صحراء الربع الخالي منذ ٤٠٠ عام واستقر أكثرهم في «الوسمة»، وهي من كبريات قرى وادي الأيسر.

- وآل باشميل يرجع نسبهم إلى قبائل الأزد الكهلانية ثم القطحانية، وقد ذكر ذلك الشيخ باشميل في بعض كتاباته.

- كان رحمه الله في بداية طلبه للعلم كثير القراءة للمطولات من أمهات كتب التاريخ، يجردها ويكرر قراءتها مثل: «مروج الذهب» للمسعودي، و«تاريخ الرسل والملوك» للطبري، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير، و«البداية والنهاية» لابن كثير، وكثير من كتب المغازي والسير.

- رحل إلى إريتريا عام ١٣٥٦، وقد ساهم في إنشاء جماعة أنصار السنة المحمدية في إريتريا وبلاد العفر، وظل يدعو إلى التوحيد زمنًا طويلاً مع ما تعرض له من محن ومواجهات مع مخالفيه، ذكرها في مجلة الهدي النبوي التي كان يكتب فيها.

وقد عده الدكتور أحمد محمد طاهر في رسالة الدكتوراه التي كتبها عن جماعة أنصار السنة المحمدية بأنه من أشهر كُتاب مجلة الهدي النبوي، واصفًا إياه بأنه من مناصري منهج السلف في حضرموت وإريتريا، ثم المملكة العربية السعودية.

وقد مكث - رحمه الله - في إريتريا حتى عام ١٣٦٨هـ تزوج خلالها امرأة من بنات عمومته، ثم عاد مرة أخرى إلى مسقط رأسه، وجهر بدعوة التوحيد، مما أدى به إلى السجن، وقد أشار إلى ذلك في مقالات نشرت في مجلة الهدي النبوي تحت عنوان: «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق»، في عدد المحرم ١٣٧١هـ وما بعده، وقد قدم لها الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله مؤسس أنصار السنة المحمدية ورئيس تحرير الهدي النبوي بقوله:

ولقد قام أخونا المجاهد الصابر الشيخ محمد أحمد باشميل في ميدان الجهاد بالوسمة من أعمال المكلا بحضرموت مقالاً يشكر الله له ويثيبه عليه ما هو له أهل من واسع فضله وجزيل إحسانه.

وكان موضوع المقالات هو الرد على الأستاذ سعيد الفقيه باشميل وتشمل:

١- الرد على النذر للأولياء الأموات.

٢- الرد على قوله: إن محمداً ﷺ نور على نور، وأن الكون مخلوق من نور محمد.

٣- الرد على قوله: التوسل بالأولياء والأموات وجعلهم واسطة بين العبد وربه في قضاء الحوائج جائز.

٤- قوله بصحة قراءة دلائل الخيرات.

- وفي عام ١٣٧٠هـ هاجر - رحمه الله - إلى المملكة العربية السعودية متنقلاً بين جدة ومكة المكرمة مقر عمله في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد كان - رحمه الله - كما يقول عنه ابنه عبد اللطيف: محبًا للعلم والعلماء، سلفيًا على الجادة، مقبلاً على طلب العلم والبحث والكتابة، عفيف النفس محبًا للخير، زاهدًا في الدنيا، ليئًا مع أهل السنة، صلبًا مع مخالفيهم، نابذًا للتحزب والتعصب، مبغضًا لهما، قوي الحجة مع مناظريه، غيورًا على دينه، متحمسًا للذب عنه ونصرة أهله.

وقد تجلى ذلك بوضوح خلال عمله مع الشيخ عبد الملك ابن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله (١٣٢٤ - ١٤٠٤هـ)، والذي كان رئيسًا عامًا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز، والذي كان الشيخ باشميل معه على علاقة قوية في الحسبة والدعوة إلى الله عز وجل.

وقد كان له نشاط مكثف في الحسبة، بكتابة المقالات في الصحف والمجلات والدوريات وتأليف الكتب ونشرها وبالخطابة وإلقاء المحاضرات والبرامج الإذاعية.

- عمل أيضًا عضوًا مراقبًا دينيًا في وزارة الإعلام.

- كما كان عضوًا في اللجنة الثقافية برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وكان من زملائه فيها: «الشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبدالله خياط، والشيخ أحمد علي أسد الله، والأستاذ أحمد محمد جمال، والشيخ عبد الله بسام، وكان رئيسها الشيخ إبراهيم الشورى». (علماء نجد ٢/٤٩٢- ترجمة محمد بن صالح العثيمين).

وقد لاقى الشيخ باشميل من بعض أصحاب الشبهات اتهامات شديدة ورموه بما لا يليق به، ولكن الله نصره على أعدائه، وكان ذلك على يد سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي السعودية، والشيخ العلامة عبد الله بن حميد، والشيخ عبد العزيز بن باز، رحمهم الله، ولقي منهم التقدير والتأييد لما علموا من حقيقة ما يقوم به من صدع بالحق وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ونصرة للدين.

حتى قال عنه الشيخ ابن باز رحمه الله: «وممن كتب في ذلك - يعني رد شبه المفسدين - أخونا العلامة الناصح لله ولعباده الشيخ محمد أحمد باشميل».

إنتاجه العلمي:

بلغ إنتاجه العلمي أكثر من ٢٨ كتابًا منها المطبوع ومنها المخطوط، وهي كالآتي:

«غزوة بدر الكبرى»، «غزوة أحد»، «غزوة الأحزاب»، «غزوة بني قريظة»، «صلح الحديبية»، «فتح مكة»، «غزوة مؤتة»، «غزوة حنين»، «غزوة تبوك»، «موسوعة الغزوات الكبرى»، «العرب في الشام قبل الإسلام»، «حروب الإسلام في الشام»، «القادسية ومعارك العراق»، «الإسلام ونظرية دارون»، «القومية في نظرة الإسلام»، «أكذوبة الاشتراكية»، «صراع مع الباطل»، «لهيب الصراحة»، «هل هذا من العروبة- شعر»، «لا يا فتاة الحجاز»، «كيف نفهم التوحيد»، «كيف نحارب الإلحاد»، «إسكات الرعاع بأدلة تحريم الغناء والسماع»، «نحن وعبد الناصر»، «أفي الله شك»، «مجموع مقالات متنوعة»، «الدعوة الوهابية كما عرفتها».

وفاته: توفي رحمه الله يوم الجمعة ٢٦ من شهر ربيع الآخر عام ١٤٢٦هـ عن عمر يناهز التسعين عامًا قضى معظمها في طلب العلم والدعوة إلى الله، وقد عانى من مرض تصلب الشرايين، ثم مرض بتجلطات في شريان الدماغ سبب له شللاً نصفيًا ألزمه الفراش حتى وفاته، وقد شارك في تشييع جنازته صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - لأنه كان محبًا للشيخ باشميل، كثير السؤال عنه، يزوره في بيته وفي المستشفى، فجزاه الله خيرًا، ورحم الله عالمنا.

فتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

تسأل: س. م. ع من البلاشون شرقية تقول:

تقدم لي شاب يعمل في شركة للإنشاءات والتعمير، تقوم هذه الشركة ببناء المساكن والعمارات السكنية، وأحيانًا تأخذ مقاولات لبناء قرى سياحية، فهل يجوز لي قبول هذا الشاب الذي يعمل مهندسًا بهذه الشركة علمًا بأنه على خلق كريم ويحفظ القرآن الكريم؟

الزواج بمن يعمل في مال مختلط

الجواب: يجوز للشخص معاملة حائز المال المختلط من حلال وحرام، كقبول هدية وأكل طعام أو شراب، ولهذه السائلة قبول هذا الشاب خاصة إذا كان متصفًا بالخُلق والدين، ولو كان يعمل بهذه الشركة التي يظهر من السؤال أن أكثر عملها في حلال، ويُنصح هذا الشاب إذا طلب منه تصميم للمباني المستخدمة كقرى سياحية أن ينظر إذا كان عملها وما ستقوم به هذه القرى خاليًا من الإثم والفجور فلا حرج عليه في عملها وتصميمها، وإذا كانت سيتم استخدامها في حرام وحلال فيُكره مشاركته في بنائها، أما إذا استخدمت للفجور المحض وعلم المهندس ذلك قبل بنائها فلا يشارك في تأسيسها لأنه يكون بذلك متعاونًا على الإثم والعدوان، يقول تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (المائدة: ٢).

وعلى ذلك الشاب أن يتعلل للشركة بأن هذا إثم ولا يريد أن يشارك فيه ويطلب الانتقال إلى موقع آخر من مواقع الشركة، والله تعالى يقول: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ» (الطلاق: ٢، ٣).

والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

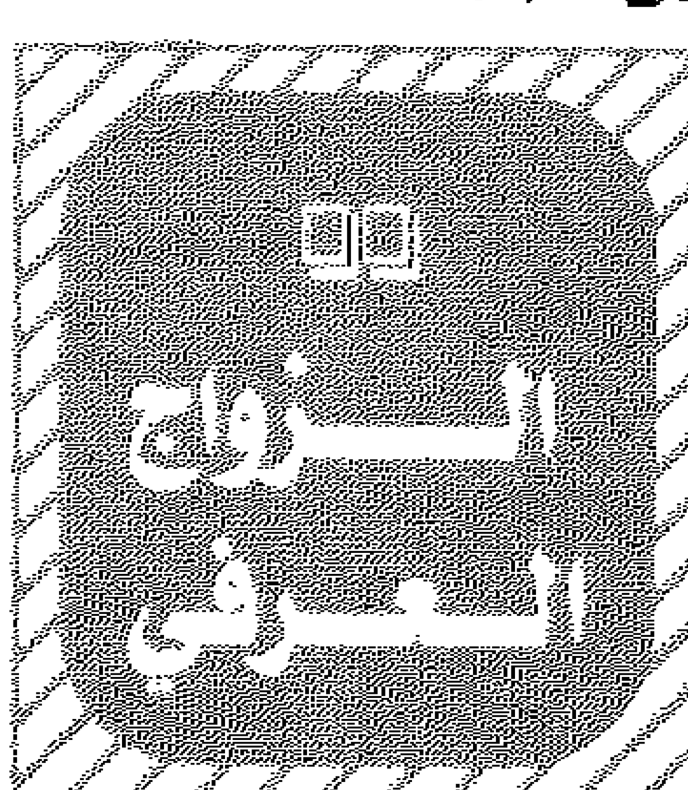
حكم المرتبات إذا كانت من أموال مختلطة

وتسأل أيضا سؤالا تقول فيه: ما حكم الإسلام في الأجور والمرتبات التي نتقاضاها من الوظائف مع علمنا أنها ربما تأتي من أموال ربا وخمور وسياحة تختلط بأموال أخرى من مصادر حلال؟

الجواب: لا مانع من العمل إذا لم يكن حرامًا أو في معصية، ولا مانع من أخذ الأجر عليه وإن كان الأجر المرتب مصدره المال المختلط، لأن المال المختلط يجوز الأخذ منه والإنفاق منه وقبول الهدايا منه.

يسأل: أ. س. م. بجامعة القاهرة يقول:

هل ما يسمى بـ «الزواج العرفي» الذي يتم سرا بين الشاب والشابة دون علم أهل الشاب أو علم أولياء البنت صحيح أم باطل؟ وهل هو زنى؟



الجواب: الواجب على كل مسلم ومسلمة الالتزام بشرع الله تعالى وتعظيم حرماته، فالشرع حين يشترط الولي والشهود والإشهار إنما ذلك لحماية الأسر من تبرؤ الرجل من المرأة بعد ذلك أو العكس، أو تبرؤ أحدهما من الطفل الناتج بينهما، فإذا تم الزواج بدون علم الولي وموافقته فهو باطل، باطل، باطل، كما ذكر ذلك نبينا ﷺ في قوله: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له». أخرجه أحمد في مسنده وهو حديث صحيح.

ومن هنا يجب فسخ هذا النكاح الباطل والزواج إذاً بهذه السرية وبدون علم الأولياء فهو والزنا سواء.

استيفاء الحقوق بغير قضاء

يسأل إبراهيم أحمد الغرباوي - العباسية القاهرة يقول:

وعدنا صاحب العمل بأننا إذا سافرنا بعثة شهرين لصالح العمل في الشركة فإنه سيعطينا أربعة أضعاف مرتباتنا الحالية، وبعد رجوعنا من السفر لم يوف لنا بما اتفقنا عليه. ونحن تحت أيدينا عهدات مالية يمكننا أن نأخذ حقوقنا بسهولة دون علم صاحب العمل، فما حكم ذلك؟

الجواب: إن الله تعالى أمر أن يعطى كل ذي حق حقه، وحرم على من عليه الحق أن يجحده أو يمنعه أو يماطل فيه، وشرع سبحانه القضاء وفصل أحكامه ليأخذ كل ذي حق حقه حين يقع النزاع ويحتاج الناس إلى من يحكم بينهم، فمن كان له حق يريد أن يستوفيه ممن عليه الحق فإما يستوفيه باختياره وطيب نفس منه، وإما أن يرفع أمره إلى القضاء ليأخذ له حقه.

لكن حين لا يتمكن صاحب الحق من أخذ حقه بكلا الطريقين؛ فمن عليه الحق لم يعطه حقه، وتعذر عليه أخذه عن طريق القضاء لأي سبب يمكن أن يكون مانعًا من ذلك، عندئذ أجاز العلماء استيفاء الحق من غير قضاء بشرط ألاَّ يترتب على أخذه فتنة. والله أعلم.

قول: «آمين» بعد الفاتحة

يسأل السيد أحمد من منيا القمح - يقول: يدعي بعض الناس أن قول آمين بعد الفاتحة في الصلاة لا يكون إلا في الصلاة الجهرية خلف الإمام، أما في الصلوات السرية وكذلك المنفرد فلا يقول القارئ بعد الفاتحة آمين، فما تحقيق هذه المسألة؟

والجواب: يُندب لكل مصلٍّ قول: «آمين» بعد قراءة الفاتحة، كما يُندب الجهر بها للإمام والمأموم في الصلوات الجهرية، ويُتَحَرَّى موافقة المأموم للإمام فيها؛ لقول النبي ﷺ: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه». متفق عليه.

والتأمين شعار في الصلاة حسدت اليهود أهل الإسلام عليه، كما أخبر بذلك نبينا محمد ﷺ، بقوله: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين». (رواه أحمد في المسند).

وقوله ﷺ - وقد ذكرت اليهود عنده -: «إنهم لم يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين». (رواه احمد في المسند، وصححه الألباني).

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صليتم فاقيموا صفوفكم وليؤمكم أحدكم، فإذا كبَّر فكبروا، وإذا قال: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ» فقولوا: آمين، يجبكم» يعني يجبكم الله تعالى.

وليس هناك دليل على استثناء المنفرد بالصلاة وحده، وكذلك المصلين صلاة سرية؛ من قول آمين بعد الفاتحة، وقد قال النووي في «الأذكار»: ويجهر به الإمام والمنفرد في الصلاة الجهرية.

وقال الشوكاني: وأما الإمام والمنفرد فمندوب، وقال الألباني: وأما قول: «آمين» فيقولها الإمام والمنفرد ندبًا وسنة، ويقولها المأموم فرضًا ولابد.

وقال أيضًا: قال الشافعي في الأم: فإذا فرغ الإمام من قراءة أم القرآن قال: آمين، ورفع بها صوته ليقتدي به من خلفه، فإذا قالها قالوها. والله أعلم.

هل يتوضأ من أصابته نجاسة ؟

يسأل عمرو عبد رب النبي أحمد من الإسكندرية - يقول: ما معنى حديث: «ولا نتوضأ من موطأ». وهل هو حديث صحيح؟

الجواب: أخرج ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: أُمِرْنا ألا نكف شعرًا ولا ثوبًا، ولا نتوضأ من موطأ. (صححه الألباني).

ومعنى الحديث: أن المسلم إذا صلى كُره له أن يكف ثوبه فلا يتركه على حاله يسقط حيثما سقط، دون أن يرفعه أو يجمعه بين رجليه، وكذلك على صاحب الشعر الطويل المسترسل ألا يكف شعره عند ركوعه أو سجوده بل يتركه على حاله، وقوله: ولا نتوضأ من موطأ: أي ما يوطأ من الأذى في الطريق، أراد أنه لا يعيد الوضوء من وطء الأذى وإنما يكتفي بغسله دون إعادة للوضوء.

ارتياد المواقع الإباحية

يقول ع. ع. ع إمبابة الجيزة: كثيرا ما يجرني الشيطان بوسوسته إلى النظر على «شبكة المعلومات» إلى المناظر الإباحية. ومن وسوسة الشيطان أنه يلقي في نفسي أن الصحابة كان لهم زوجات وملك يمين وأنا لا أستطيع الزواج، فيمكن اعتبار هذه المناظر كملك اليمين، فبم تنصحونني؟

الجواب: إن الله سبحانه وتعالى يبتلي بعض الناس بتسهيل المعصية لينظر من يخافه بالغيب.

وكذلك أنت يا أخي السائل ابتليت - عافاك الله - بتسهيل المعصية أمامك، فبمجرد النقر على أزرار «النت» ترى النساء أمامك عاريات، وتتقلب من منظر قبيح إلى غيره أقبح، فماذا ستصنع إذا جيء بك يوم القيام تتقلب بوجهك في نار جهنم جزاء ما كان بصرك يتقلب بين مناظر العاهرات والفاسقات المفسدات.

قال تعالى: «يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ» (الأحزاب: ٦٦).

فيا أخي: هذه فتنة مضرة كما قال ﷺ: «ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء». (أخرجه أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة).

وأنت أخي السائل تسعى إلى هذه الفتنة بنفسك وبيديك ورجليك، مستجيبًا لأمر إبليس الذي سيتبرأ من فعلك يوم القيامة، ويقول لأتباعه: «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ» (إبراهيم: ٢٢).

فكيف سيكون حالك يوم الحسرة والندامة حين تلقى الله وأنت مطلع على العورات والقاذورات وتلقى ربك بهذه النجاسات.

ويقول لك الشيطان: هذه ملك يمين، فأين ما تملكه من هذه النساء، وأنت ليس لديك إلا نظرة محرمة.

فعليك أخي أن تتجنب مواضع المعصية ولا تجلس دائمًا في خلوة، واشغل نفسك مع إخوانك في المسجد بحفظ ما تيسر من كتاب الله وسنة رسوله حتى تتغلب على الفراغ الذي يملؤه لك الشيطان بهذه الوساوس والمعاصي، عافاك الله.

فاحذر ما يفسدك ويفسد عملك.

والله الموفق.

تحذير الداعية من القصص الواهية الحلقة (١٠٥)

قصة مفتراة في إسلام عمر



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم لبيان حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص بما فيها من افتراءات، تجعل في يوم إسلام عمر: قصة تقلده للسيف لقتل رسول الله ﷺ، وقصة ضرب زوج أخته، وقصة إدماء وجه أخته.

تلك قصص واهية مركبة بعضها فوق بعض من داخل قصة إسلام عمر، فهي ظلمات بعضها فوق بعض.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة، ثم بيان الصحيح في إسلام عمر.

إعداد/ علي حشيش

أولاً: متن القصة

يروى عن أنس بن مالك قال: «خرج عمر متقلد السيف، فلقيه رجل من بني زهرة، فقال له: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً. قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً ؟ قال: فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب، إن ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه، قال: فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما، وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب قال: فلما سمع خباب بحس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم ؟ قال: وكانوا يقرأون: طه، فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما، فقال له ختنه: يا عمر

إن كان الحق في غير دينك؟ قال: فوثب عمر على ختنه، فوطئه وطأً شديدًا، قال: فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها، فقالت وهي غضبى: وإن كان الحق في غير دينك؟ إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه، قال: وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أخته: إنك رجس، وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، قال: فقام عمر فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ: «طه - حتى انتهى إلى - إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري». قال: فقال عمر: دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر، خرج من البيت، فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ليلة الخميس: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بعمرو بن هشام. وكان رسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا. قال: فانطلق عمر، حتى أتى الدار، وعلى باب الدار: حمزة وطلحة، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر فقال حمزة: هذا عمر إن يرد الله بعمر خيرًا يسلم، فيتبع النبي ﷺ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينًا.

قال: والنبي ﷺ داخل يوحى إليه، قال: فخرج رسول الله ﷺ، حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله عز وجل بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، فهذا عمر بن الخطاب: اللهم أعز الإسلام أو الدين بعمر بن الخطاب، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، وأسلم وقال: أخرج يا رسول الله».

ثانيًا: التخريج

القصة أخرجها البيهقي في «الدلائل» (٢/٢١٩، ٢٢٠) حيث قال: «أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز، قال: حدثنا محمد بن عبيد الله هو ابن يزيد الحناوي، قال: حدثنا إسحاق بن يوسف يعني الأزرق، قال: حدثنا القاسم بن عثمان البصري، عن أنس بن مالك قال: فذكر القصة.

وأخرجها ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/٢٦٧)، والدارقطني في «السنن» مختصرًا (١/٣٠٢) ح(٤٣٤)، والطبراني في «الأوسط» (٢/٥١٢) ح(١٨٨١) مختصرًا.

ثالثًا: التحقيق

١- هذه القصة واهية، وعلتها: القاسم بن عثمان أبو العلاء البصري. ولقد انفرد بها عن أنس. ولذلك قال الإمام الطبراني: «لا تروى عن أنس إلا بهذا الإسناد تفرد بها القاسم». اهـ.

٢- قلت: وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٣٧٥/٦٨٢٥) وقال: «القاسم بن عثمان البصري عن أنس. قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها. ثم قال الذهبي: حدّث عنه إسحاق الأزرق بقصة إسلام عمر وهي منكرة جدًا». اهـ.

٣- قلت: وأورده الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/٤٨٠/١٥٣٨) وقال: «القاسم بن عثمان، عن أنس، لا يتابع على حديثه، حدّث عنه إسحاق الأزرق أحاديث لا يتابع منها على شيء». اهـ.

٤- قلت: وأقر الحافظ ابن حجر قول الإمام البخاري وقول الإمام العقيلي وحكم الإمام الذهبي على قصة إسلام عمر بأنها منكرة جدًا.

رابعًا: طريق آخر

وإلى القارئ الكريم قصة إسلام عمر وضربه لأخته يتخذها القصاص والوعاظ شاهدًا من حديث ثوبان لهذه القصة الواهية التي أوردناها آنفًا.

القصة أخرجها الإمام الطبري في «المعجم الكبير» (٢/٩٧) ح(١٤٢٨) حيث قال: «حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة ثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يزيد بن ربيعة ثنا أبو الأشعث عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب»، وقد

ضرب أخته أول الليل وهي تقرأ: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» حتى ظن أنه قتلها ثم قام من السحر فسمع صوتها تقرأ: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» فقال: والله ما هذا بشعر ولا همهمة، فذهب حتى أتى رسول الله ﷺ فوجد بلالاً على الباب فدفع الباب. فقال بلال: من هذا ؟ فقال: عمر بن الخطاب. فقال: حتى أستأذن لك على رسول الله ﷺ. فقال بلال: يا رسول الله، عمر بالباب. فقال رسول الله ﷺ: «إن يرد الله بعمر خيرًا أدخله في الدين». فقال لبلال: «افتح» وأخذ رسول الله ﷺ بضبعيه فهزه فقال: «ما الذي تريد؟» وما الذي جئت ؟ فقال له عمر: اعرض عليّ الذي تدعو إليه، قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله». فأسلم عمر مكانه وقال: «أخرج».

خامسًا: التحقيق

وهذه أيضًا قصة واهية لا تصلح للشواهد ولا المتابعات، بل تزيد القصة وهنًا على وهن، وعلتها: يزيد بن ربيعة الرحبي.

١- أورده الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (٤/٢/٣٣٢) ترجمة (٣٢١٠) وقال: «يزيد بن ربيعة أبو كامل الرحبي الدمشقي الصنعاني صنعاء دمشق عن أبي أسماء حديثه مناكير».

٢- وأورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٦٤٣) وقال: «يزيد بن ربيعة، متروك الحديث».

فائدة

قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص١٩١): «ولهذا كان مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٣- وأورده الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٩٠) وقال: «يزيد بن ربيعة أبو كامل الرحبي، من صنعاء دمشق». اهـ.

فائدة

يظن من لا دراية له بكتاب «الضعفاء والمتروكين» للإمام الدارقطني، بقوله الذي أوردناه في يزيد بن ربيعة، أن الدارقطني سكت عنه، ولا يدري أنه بمجرد ذكر اسمه في كتابه «الضعفاء والمتروكين» إجماع على تركه، كما جاء في «المقدمة» حيث قال الإمام البرقاني:

«طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

قلت: وبهذا التحقيق تصبح القصة واهية بهذا الشاهد الذي لا يزيدها إلا وهنًا على وهن.

فائدة

أوردها الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» تنطبق تمام الانطباق على هذه القصة الواهية، لما فيها من متروكين، حيث نقل عن ابن الصلاح قوله: «لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة، أن يكون حسنًا، لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا، كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

سادسًا: من الروايات الصحيحة في قصة إسلام عمر

١- لقد بوّب الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب «مناقب الأنصار» بابًا رقم (٣٥): إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتحت هذه الترجمة أخرج حديث (٣٨٦٥) فقال: «حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو بن دينار سمعته قال: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لما أسلم عمر، اجتمع الناس عند داره وقالوا: صبأ عمر - وأنا غلام فوق ظهر بيتي - فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال: قد صبأ عمر، فما ذاك ؟ فأنا له جار، قال: فرأيت الناس تصدعوا عنه، فقلت: من هذا ؟ قالوا: العاص بن وائل». اهـ.

٢- وأورده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/٨١) في إسلام عمر بن الخطاب: قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له: جميل بن معمر

الجمحي. فغدا عليه، قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ ؟ قال: فوالله، ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر، واتبعته أنا، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إن ابن الخطاب قد صبا، قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت، وشهدتُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، قال: وطلع فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا. قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلَّةٌ حَبِرَةٌ وقميصٌ مُوَشّى حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم ؟ فقالوا: صبأ عمر، قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرًا، فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا ؟ خلوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه، قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال: ذاك أي بني، العاص بن وائل السهمي».

وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر، لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة، وقد كان مميزًا يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين، والله أعلم». اهـ.

قلت: وأورد هذه القصة أيضًا الحافظ ابن كثير في كتاب «السيرة النبوية» نقلاً عن ابن إسحاق، ثم ذكر هذا التحقيق، وكذا ابن هشام في السيرة النبوية (١/٤٣٧) ح(٣٣٤) نقلاً أيضًا عن ابن إسحاق، وكذا ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/١٥٠) نقلاً عن ابن إسحاق، وأخرجه الحاكم (٣/٨٥) من طريق ابن إسحاق وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وهو كما بينا آنفًا، قال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد قوي». اهـ.

قلت: ويزداد قوة بأن البخاري أخرجه ح(٣٨٦٤) حيث قال: «حدثنا يحيى بن سليمان قال: حدثني ابن وهب، قال: حدثني عمر بن محمد قال: فأخبرني جدي زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: «بينما هو في الدار خائفًا إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير - وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية - فقال: ما بالك ؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت. قال: لا سبيل إليك، بعد أن قالها أمنت. فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي. فقال: أين تريدون ؟ فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ. قال: لا سبيل إليه، فكرّ الناس». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق يتبين الصحيح من السقيم في قصة إسلام عمر رضي الله عنه؛ فكم من قصص واهية وضعت في يوم إسلام عمر، كما بيّنا آنفًا في هذه القصة الواهية المركبة من قصص واهيات، ومن قبل قد بينا القصة الواهية الموضوعة في إسلام عمر، والتي جعلت عمر يخرج في مظاهرة في صفين: حمزة في أحدهما، وعمر في الآخر، واتخذها من لا دراية لهم بالتخريج وأصول التحقيق دليلاً على مشروعية المظاهرات، وما تسبب عنها من أضرار في البلاد وقتل للعباد.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

بدعة الاحتفال بشم النسيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينًا، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على نبينا محمد، أما بعد:

فإن العقيدة الصحيحة والدعوة إليها هي أساس الإسلام، من أجل ذلك أردت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بحكم الاحتفال بعيد شم النسيم «عيد الربيع»، فأقول وبالله التوفيق:

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الأعياد في الإسلام

يجب أن يكون من المعلوم لكل مسلم أن الأعياد في الإسلام ثلاثة وهي:

- عيد الفطر: ويأتي كل عام بعد انتهاء المسلمين من صوم شهر رمضان.
- وعيد الأضحى: ويأتي كل عام في ختام العشرة الأولى من ذي الحجة.
- وعيد ثالث يتكرر في كل أسبوع مرة، وهو يوم الجمعة، وليس في الإسلام عيد سوى هذه الأعياد الثلاثة، وليس في الإسلام عيد بمناسبة، كذكرى غزوة بدر، ولا غزوة الفتح، ولا غيرها من الغزوات العظيمة التي انتصر فيها المسلمون انتصارًا باهرًا. (الشرح الممتع لابن عثيمين ج٥ ص٨٢).

نشأة عيد شم النسيم

كان للمصرين القدماء أعيادٌ كثيرة، منها أعياد الزراعة التي تتصل بمواسمها، والتي ارتبط بها تقويمهم إلى حد كبير، فإن لسنتهم الشمسية التي حدَّدوها باثني عشر شهرًا ثلاثة فصول، كل منها أربعة أشهر، وهي فصل الفيضان، ثم فصل البذر، ثم فصل الحصاد، ومن هذه الأعياد عيد النيروز الذي كان أول سنتهم الفلكية بشهورها المعروفة الآن، وكذلك عيد شم النسيم. (أغرب الأعياد لسيد عبد الفتاح ص٥١٦، وفتاوى عطية صقر ج٢ ص٣٩٨).

سبب تسمية عيد شم النسيم

ترجع تسمية عيد النسيم إلى الكلمة الفرعونية «شمو» ويرمز بها عند قدماء المصريين إلى بعث الحياة، وكانوا يعتقدون أن ذلك اليوم هو أول الزمان، وفيه بدأ خلق العالم، وأضيف كلمة «النسيم» إليه لارتباط هذا اليوم باعتدال الجو، حيث تكون بداية الربيع، وترجع بداية الاحتفال به بشكل رسمي إلى عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد، وكانوا يحتفلون به في الاعتدال الربيعي عقب عواصف الشتاء وقبل هبوب رياح الخماسين.

إن الاحتفال بالربيع كان معروفًا عند الأمم القديمة من الفراعنة والبابليين والأشوريين، وكذلك عرفه الرومان، وكانت له أسماء مختلفة عندهم فهو عند الفراعنة عيد شم النسيم، وعند البابليين والأشوريين عيد ذبح الخروف، وعند اليهود عيد الفصح، وعند الرومان عيد القمر. (أعياد مصر لسعيد محمد الملط، ص٢٠، وفتاوى عطية صقر ج٢ ص٣٩٨).

العلاقة بين عيد الفصح عند اليهود وعيد شم النسيم

نقل بنو إسرائيل عيد شم النسيم عن

الفراعنة لما خرجوا من مصر، وقد اتفق يوم خروجهم مع موعد احتفال الفراعنة بعيدهم، واحتفل بنو إسرائيل بالعيد بعد خروجهم ونجاتهم، وأطلقوا عليه اسم عيد الفصح، والفُصح كلمة عبرية معناها «الخروج» أو «العبور»، كما اعتبروا ذلك اليوم – أي يوم بدء الخلق عند الفراعنة – بداية لسنتهم الدينية العبرية تيمنًا بنجاتهم، وبدء حياتهم الجديدة. (اغرب الأعياد ص٥١٧، وفتاوى عطية صقر ج٢ ص٣٩٩).

العلاقة بين عيد القيامة عند النصارى وعيد شم النسيم

لما ظهرت المسيحية في الشام احتفل النصارى بعيد الفصح كما كان يحتفل اليهود، ثم تآمر اليهود على صلب المسيح وكان ذلك يوم الجمعة ٧ من إبريل سنة ٣٠م، الذي يعقب عيد الفصح مباشرة، فاعتقد المسيحيون أنه صُلب في هذا اليوم، وأنه قام من بين الأموات بعد الصلب في يوم الأحد التالي، فرأى بعض طوائفها أن يحتفلوا بذكرى الصلب في يوم الفصح، ورأت طوائف أخرى أن يحتفلوا باليوم الذي قام فيه المسيح من بين الأموات، وهو عيد القيامة، يوم الأحد الذي يعقب عيد الفصح مباشرة، وسارت كل طائفة على رأيها، وظل الحال على ذلك حتى رأى قسطنطين الأكبر إنهاء الخلاف في سنة ٣٢٥م، وقرر توحيد العيد، على أن يكون في أول أحد يكون القمر بدرًا في الاعتدال الربيعي أو يعقبه مباشرة، وحسب الاعتدال الربيعي وقتذاك، فاصبح عيد القيامة – كما يزعم النصارى – في أول أحد يكون القمر فيه بدرًا، وبعد هذا التاريخ أطلق عليه اسم عيد الفصح المسيحي تمييزًا له عن عيد الفُصح اليهودي. (اغرب الأعياد ص٥١٨، وفتاوى عطية صقر ج٢ ص٤٠٠).

عقيدتنا في عيسى ابن مريم عليه السلام

يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله سبحانه وتعالى قد رفعه حيًا بجسده إلى السماء وسوف ينزل في آخر الزمان فيقتل المسيح الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير ولا يقبل من الناس إلا الإسلام، ويعمل بشريعة نبينا ﷺ، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة والتي يجب على كل مسلم أن يموت عليها، وهذا ثابت في القرآن والسنة.

قال الله تعالى حكاية عن اليهود: «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» (النساء: ١٥٧-١٥٩).

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها». ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا». (البخاري، ح٣٤٤٨، ومسلم ح١٥٥).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنينهما». (مسلم ح١٢٥٢).

أطعمة عيد شم النسيم

إن لشم النسيم – عيد الربيع – أطعمة خاصة ترتبط بخرافات، ومعتقدات شركية عند القدماء المصريين، سوف نتحدث عنها بإيجاز:

بيض شم النسيم: يعتبر البيض الملون مظهرًا من مظاهر عيد شم النسيم، ومختلف أعياد الفصح والربيع في العالم أجمع، وترجع فكرة صبغ البيض باللون الأحمر عند النصارى

إلى رغبتهم في أن يتذكروا دائمًا دم المسيح عليه السلام الذي سفكه اليهود، وذلك حسب اعتقادهم الباطل والمناقض للقرآن والسنة.

الفسيخ (السمك المملح): كان الفراعنة يقدسون النيل، ويعتبرونه نهر الحياة، ويعتقدون أن الحياة في الأرض بدأت في الماء ويعبر عنها بالسمك الذي تحمله مياه النيل.

البصل: كان القدماء المصريون يعتقدون أن البصل يطرد الأرواح الشريرة.

خس شم النسيم: كان الفراعنة يعتقدون أن الخس من النباتات التي تعلن عن حلول الربيع باكتمال نموها ونضجها، وقد اعتبروه من النباتات المقدسة الخاصة بإله التناسل.

حمص شم النسيم: هي ثمرة الحمص الأخضر، وكان الفراعنة يعتبرون نضجها وامتلاءها إعلانًا عن ميلاد الربيع، وهو ما أخذ منه اسم الملانة. (اغرب الاعياد ص٥١٩، ٥٢٥).

حكم الاحتفال بعيد شم النسيم

سوف نذكر بعضًا من فتاوى علماء الأزهر في حكم الاحتفال بعيد شم النسيم:

١- فتوى الشيخ علي محفوظ، عضو هيئة كبار العلماء في مصر:

قال الشيخ علي محفوظ - رحمه الله تعالى -: يوم شم النسيم، وما أدراك ما شم النسيم؟ هو عادة ابتدعها أهل الأوثان لتقديس بعض الأيام تفاؤلاً به أو تزلفًا لما كانوا يعبدون من دون الله، فعمرت آلافًا من السنين حتى عمت المشرقين، واشترك فيها العظيم والحقير، والصغير والكبير، ويا ليتها كانت سنة محمودة فيكون لمستنها أجر من عمل بها، ولكنها ضلال في الآداب وفساد في الأخلاق.

وقال رحمه الله أيضًا: فهل هذا اليوم - يوم شم النسيم - في مجتمعاتنا الشرعية التي تعود علينا بالخير والرحمة؟ كلا، وحسبك أن تنظر إلى الأمصار، بل القرى، فترى في ذلك اليوم ما يزري بالفضيلة، ويخجل معه وجه الحياء من منكرات تخالف الدين، وسوءات تجرح الذوق السليم، وينقبض لها صدر الإنسانية، إن الرياضة واستنشاق الهواء، ومشاهدة الأزهار من ضرورات الحياة في كل آن لا في ذلك اليوم الذي تمتلئ فيه المزارع والخلوات بجماعات الفجار وفاسدي الأخلاق، فتسربت إليها المفاسد، وعمتها الدنايا، فصارت سوقًا للفسوق والعصيان، ومرتعًا لإراقة الحياء، وهتك الحجاب، نعم، لا تمر بمزرعة أو طريق إلا وترى فيه ما يخجل كل شريف، ويؤلم كل حي، فأجدر به أن يُسمى يوم الشؤم والفجور !! ترى المركبات والسيارات تتكدس بجماعات عاطلين يموج بعضهم في بعض بين شيب وشباب ونساء وولدان ينزحون إلى البساتين والأنهار، ترى السفن فوق الماء مملوءة بالشبان يفسقون بالنساء على ظهر الماء، ويفرطون في تناول المسكرات، وارتكاب المخازي، فاتبعوا خطوات الشيطان في السوء والفحشاء في البر والبحر، وأضاعوا ثمرة الاجتماع فكان شرًا على شر، ووبالاً على وبال، تراهم ينطقون بما تصان الآذان عن سماعه، ويخاطبون المارة كما يشاؤون من قبيح الألفاظ، وبذيء العبارات، كأن هذا اليوم قد أبيحت لهم فيه جميع الخبائث، وارتفع عنهم فيه حواجز التكليف، «أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (المجادلة: ١٩).

فعلى من يريد السلامة في دينه وعرضه أن يحتجب في بيته في ذلك اليوم المشؤوم، ويمنع عياله وأهله، وكل من تحت ولايته عن الخروج فيه حتى لا يشارك اليهود والنصارى والسفهاء في مراسمهم، والفاسقين الفاجرين في أماكنهم، ويظفر بإحسان الله ورحمته. «الإبداع لعلي محفوظ ص٢٧٥-٢٧٧».

٢- فتوى الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف:

قال الشيخ عطية صقر - رحمه الله تعالى -: لا شك أن التمتع بمباهج الحياة من أكل وشرب وتنزه أمر مباح ما دام في الإطار المشروع، الذي لا ترتكب فيه معصية ولا تنتهك حرمة ولا ينبعث من

عقيدة فاسدة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» (المائدة: ٨٧).

وقال سبحانه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (الأعراف: ٣٢).

لكن، هل للتزين والتمتع بالطيبات يوم معين أو موسم خاص لا يجوز في غيره، وهل لا يتحقق ذلك إلا بنوع معين من المأكولات والمشروبات، أو بظواهر خاصة ؟ هذا ما نحب أن نلفت الأنظار إليه.

إن الإسلام يريد من المسلم أن يكون في تصرفه على وعي صحيح وبُعد نظر، لا يندفع مع التيار فيسير حين يسير ويميل حين يميل، بل لا بد أن تكون له شخصية مستقلة فاهمة، حريصة على الخير بعيدة عن الشر والانزلاق إليه، وعن التقليد الأعمى، لا ينبغي أن يكون كما قال الحديث: «إمعة» يقول: إن أحسن الناس احسنت، وإن أساءوا أسات، ولكن يجب أن يوطن نفسه على أن يحسن إن أحسنوا، وألا يسيء إن أساءوا، وذلك حفاظًا على كرامته واستقلال شخصيته، غير مبالٍ من هذا النوع.

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن (طريق) من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال: فمن. (البخاري ح٣٤٥٦، ومسلم ح٢٦٦٩).

فلماذا نحرص على شم النسيم في هذا اليوم بعينه، والنسيم موجود في كل يوم ؟ إنه لا يعدو أن يكون يومًا عاديًا من أيام الله حكمه كحكم سائرها، بل إن فيه شائبة تحمل على اليقظة والتبصر والحذر، وهي ارتباطه بعقائد لا يقرها الدين، حيث كان الزعم أن المسيح قام من قبره وشم نسيم الحياة بعد الموت، ولماذا نحرص على طعام بعينه في هذا اليوم، وقد رأينا ارتباطه بخرافات أو عقائد غير صحيحة، مع أن الحلال كثير وهو موجود في كل وقت، وقد يكون في هذا اليوم أردأ منه في غيره أو أغلى ثمنًا.

إن هذا الحرص يبرر لنا أن ننصح بعدم المشاركة في الاحتفال به مع مراعاة أن المجاملة على حساب الدين والخُلق والكرامة ممنوعة لا يقرها دين ولا عقل سليم، والنبي ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس». رواه الترمذي، ورواه ابن حبان في صحيحه. (فتاوى عطية صقر ج٢ ص٤٠٣-٤٠٤).

٣- فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لا يبيع المسلم ما يستعين المسلمون به على مشابهة غير المسلمين في أعيادهم، من الطعام واللباس ونحو ذلك؛ لأن في ذلك إعانة على المنكرات. (اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٢٦١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا: لا يبيع المسلم لغير المسلمين ما يستعينون به على عيدهم، من الطعام واللباس والريحان ونحو ذلك أو إهداء ذلك لهم، فهذا فيه نوع إعانة على إقامة عيدهم المحرم. (اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٢٦٣).

وبناءً على هذه الفتاوى السابقة، نقول وبالله تعالى التوفيق:

لا يجوز للتجار المسلمين أن يتاجروا بالهدايا الخاصة بهذا العيد من بيض منقوش، أو مصبوغ مخصص لهذا العيد، أو سمك مملح لأجله، أو بطاقات تهنئة، أو غير ذلك مما هو مختص به؛ لأن المتاجرة بذلك فيها إعانة على المنكر الذي لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله ﷺ كما لا يحل لمن أهديت له هدية هذا العيد أن يقبلها؛ لأن في قبولها إقرارًا لهذا العيد، ورضًا به، ولا يعني ذلك حرمة بيع البيض أو السمك أو البصل أو غيره مما أحله الله تعالى، وإنما

المنوع بيع ما خصص لهذا العيد بصبغ أو نقش أو تمليح أو ما شابه ذلك، ولكن لو كان المسلم يتاجر ببعض هذه الأطعمة ولم يخصصها لهذا العيد لا بالدعاية، ولا بوضع ما يرغب زبائن هذا العيد فيها فلا يظهر حرج في بيعها ولو كان المشترون منه يضعونها لهذا العيد.

موقف المسلم من عيد شم النسيم

يمكن أن نوجز موقف المسلم من عيد شم النسيم (عيد الربيع) فيما يلي:

١- عدم الاحتفال به، أو مشاركة المحتفلين به في احتفالهم، أو حضور الاحتفال به، والتشبه بهم فيما يخصهم محرم فكيف بالتشبه بهم في شعائرهم.

٢- عدم إعانة من يحتفل به من غير المسلمين بأي نوع من أنواع الإعانة، كالإهداء أو التهنئة، أو الإعلان عن وقت هذا العيد أو مراسيمه أو مكان الاحتفال به، أو إعارة ما يعين على إقامته، أو بيع ذلك لهم، فكل ذلك محرم؛ لأن فيه إعانة على ظهور شعائرهم الباطلة، فمن أعانهم على ذلك فكأنه يقرهم عليه، ولهذا حرم ذلك كله.

٣- الإنكار بالحكمة والموعظة الحسنة على من يحتفل به من المسلمين.

٤- عدم تبادل التهاني بين المسلمين بعيد شم النسيم، لأنه عيد للقدماء المصريين ولمن تبعهم من اليهود والنصارى، وليس عيداً للمسلمين.

٥- يجب على أهل العلم توضيح حقيقة عيد شم النسيم وأمثاله من الأعياد التي ابتدعها الناس في هذا الزمان، وبيان حكم الاحتفال بها، والتأكيد على ضرورة تميز المسلم بدينه، ومحافظته على عقيدته، وتذكيره بمخاطر التشبه بغير المسلمين في شعائرهم الدينية كالأعياد، أو بما يختصون به من سلوكياتهم وعباداتهم؛ نصحاً للأمة، وأداءً لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي بإقامته صلاح البلاد والعباد.

٦- على كل مسلم، يريد السلامة لنفسه في دينه، أن يجلس في بيته في يوم شم النسيم، ويمنع أهله وأولاده وكل من تحت ولايته من الخروج للمشاركة في هذا العيد، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

نبينا ﷺ يحذرنا من مشابهة غير المسلمين

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم». (صحيح أبي داود ح٣٤٠١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بغير المسلمين». (اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص١٠٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: فمن». (البخاري حديث ٣٤٥٦، ومسلم حديث ٢٦٦٩).

قال ابن حجر العسقلاني: قال ابن بطال: أخبرنا رسول الله ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من الناس. قال ابن حجر: وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك. (فتح الباري لابن حجر ج١٢ ص٣١٤).

وختاماً: أحذرك أخي المسلم الكريم أن تبتدع في دين الله تعالى ما ليس منه أو أن تشارك بقولك أو فعلك في أعياد ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، فتطردك الملائكة عن حوض نبينا محمد ﷺ، واعلم أنك سوف تقف وحدك للحساب بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من
محبطات الأعمال

الذهاب إلى العرافين

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله المتفرد بالوحدانية، القائم على كل نفس بما كسبت، يعلم أحوال النفوس وآجالها، خلق الخلق ونفذت فيهم مشيئته، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه وهو الحكيم العليم، وأصلي وأسلم على نبينا محمد عبده المجتبى، ورسوله المرتضى، وعلى آله وأصحابه الأبرار، ما تعاقب الليلُ والنهار، وبعد:

فمع المحبط التاسع للأعمال وهو:

«الذهاب إلى العرافين»

عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافًا، فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا». (مسلم: ٢٢٣٠).

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. (شرح السنة: ١٢/ ١٨٢).

وقال ابن تيمية: العَرَّافُ: اسم للكاهن والمنجم والرمَّال ونحوهم. (مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٣٧).

ظاهر الحديث أن مجرد سؤاله يوجب عدم قبول صلاته أربعين يومًا، ولكنه ليس على إطلاقه، فسؤال العرَّاف ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأله سؤالاً مجردًا، فهذا حرام؛ لقول النبي ﷺ: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا».

فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه، إذ لا عقوبة إلا على فعل محرَّم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه فهذا كفر.

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد». (صحيح الجامع: ٥٩٣٩).

أي: بالذي أُنزل على محمد ﷺ، والذي أنزل عليه ﷺ القرآن أنزل إليه بواسطة جبريل عليه السلام، قال الله تعالى: «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» (الشعراء: ١٩٢، ١٩٣).

وقال تعالى: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ» (النحل: ١٠٢). وقد قال الله تعالى فيما أُنزل على محمد ﷺ: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» (النمل: ٦٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، أو أتى امرأة حائضًا، أو أتى امرأة في دبرها، فقد برئ مما أُنزل على محمد». (صحيح الجامع: ٥٩٤٢).

وعن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «ليس منا من تطير ولا من تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو تسحر أو تسحر له». (صحيح الجامع: ٥٤٣٥).

القسم الثالث: أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس به.

وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد، فقال: «ماذا خبأت لك؟» قال: الدُّخ. فقال: «اخسأ، فلن تعدو قدرك». (متفق عليه). فالنبي ﷺ سأله عن شيء أضمره له، لأجل أن يختبره، فأخبره به.

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه، وهذا مطلوب، وقد يكون واجبًا، وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمرٌ مطلوب، وقد يكون واجبًا. (القول المفيد على كتاب التوحيد ١/٤٢٩).

فتصديق أدعياء علم الغيب، وإتيانُ الكهنة والعرافين، والرمالين والمنجمين، والمشعوذين، والدجالين، الذين يزعمون، الإخبار عن الغيبيات زورًا وبهتانًا، وكذبًا وادعاءً، فهذا كله ضلال وباطل، وداءٌ خطيرٌ وشرٌ مستطيرٌ، فعلم الغيب، مما استأثر الله به وحده، قال سبحانه: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» (النمل: ٦٥).

وفي تعاطي السحر والتعامل به جمع بين الكفر والإضرار بالناس

قال الله تعالى: «وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (البقرة: ١٠٢).

فدلت هذه الآية الكريمة على أن الذين يتعلمون السحر إنما يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، وأنه ليس لهم عند الله من خلاق.

أي: «من حظ»، وهذا وعيد عظيم يدل على شدة خسارتهم في الدنيا والآخرة، وأنهم باعوا أنفسهم بأبخس الأثمان، ولهذا ذمهم الله سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: «وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (البقرة: ١٠٢)، والشراء هنا بمعنى: البيع، ولقد نفى الله الفلاحَ عن الساحر، فقال سبحانه: «وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى» (طه: ٦٩) أي: لا يفوز ولا ينجو حيث أتى من الأرض.

السحر من الموبقات، أي: المهلكات

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

عدّ رسول الله ﷺ السحر بعد الشرك وقبل القتل.

معنى: «التولي يوم الزحف» أي: الفرار من صف القتال يوم زحف المسلمين على العدو.

معنى: «المحصنات» أي: العفيفات.

قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (النور: ٢٣).

والكهنة والعرافون يتعاملون مع الشياطين يقينًا، ولا يساعد الشيطان قرينه الآدمي إلا إذا أصبح وليًا له، قال الله تعالى: «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» (الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢)، وقال تعالى: «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ» (الأنعام: ١٢١).

فحذار أيها المسلم حذار من ذهابك أو ذهاب زوجتك أو ولدك أو بعض أهلك للكهنة وسؤالهم إياهم، فإنَّ هذا صد عن الدين، وقد علمتَ أن الله عز وجل لم يقبل صلاة أربعين يومًا لمن يسأل العراف أو الكاهن، وحكَم رسول الله ﷺ بكفر من يسأله ويصدقه، فما بالك بالعراف نفسه

عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله تعالى بالإسلام، وإنَّ منا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: «فلا تأتهم». (مسلم: ٥٣٧).

شبهة وجوابها

يقول بعض الناس: إننا جربنا سؤال هؤلاء العرافين فوجدناهم يصدقون في حديثهم عن بعض الأمور:

والجواب: أن رسول الله ﷺ أخبر بذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسولَ الله ﷺ أناسٌ عن الكهان، فقال: «ليسوا بشيء». فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحيانًا بشيء فيكون حقًا ؟ فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أُذُن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة». (متفق عليه).

معنى: فيقرها: أي: يلقيها.

وفي رواية للبخاري عن عائشة رضي الله عنه أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قُضي في السماء، فيسترق الشيطان السمع، فيسمعه، فيوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم». (صحيح الجامع: ١٩٥٥).

فالساحر دَعِيٌّ كذابٌ ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، ولَبَّس على الجهلة والدهماء.

فأين عقولنا ؟ ماذا أصاب العقول ؟ إذا كان صفوةُ خلق الله، وأفضل عباد الله - عليه الصلاة والسلام - يخاطبه الله بقوله سبحانه: «قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (الأعراف: ١٨٨).

ونهاه سبحانه بقوله: «وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (يونس: ١٠٦، ١٠٧).

إذا كان ذلك في حقه - عليه الصلاة والسلام - فغيره أولى وأحرى أن يحذر من ذلك: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ» (لقمان: ٣٠). فكونوا على حذر - يا عباد الله - من المشعوذين والدجالين.

وعلقوا آمالكم بالله فهو سبحانه دافع الضر ومالك النفع، له الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، قضاؤه نافذٌ، وقدره كائن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، ولا واصل لما قطع: «قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ» (الزمر: ٣٨).

يا من ألوذ به فيما أؤمِّلُهُ
ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره
ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

وإذا كان الابتلاء سنة - والبشر عرضةٌ للأمراض والأسقام - فإنَّ التداوي المشروع أمرٌ مطلوب.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى». (مسلم: ٢٢٠٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل اللهُ داءً إلا أنزل له شفاءً». (صحيح الجامع: ٥٥٥٩). وعن أسامة بن شريك أن النبي ﷺ قال: «تداوَوْا عباد الله، فإن الله تعالى لم يضعْ داءً إلا وضع له دواء، غير داءٍ واحدٍ: الهرم» وهو الشيخوخة. (صحيح الجامع: ٢٩٣٠، وغاية المرام: ٢٩٢).

فالتداوي المشروع لا ينافي التوكل على الله، وقد أخبر الله عن القرآن بأنه هدى وشفاء من كل مرض وداء، فقال تعالى: «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (الإسراء: ٨٢). وقال تعالى: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ» (فصلت: ٤٤). وقال تعالى: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا» (النساء: ١٢٢).

فحصنوا أنفسكم وأولادكم بالرقى المشروعة، والأوراد المأثورة، فهي حصنٌ حصينٌ، وحرزٌ أمين بإذن الله الشافي الرحيم، داوموا على أوراد الصباح والمساء، وأدعية الدخول والخروج، والنوم والاستيقاظ، وهاكم - عباد الله - وصفةً طبيةً نبويةً، هي خيرٌ لكم وأمانٌ.

عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات)، فيضره شيء». (صحيح الجامع: ٥٧٤٥).

وعن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ، ماذا أقول؟ قال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» والمعوذتين حين تُمسي، وحين تصبح - ثلاث مرات تكفيك من كل شيء. (صحيح الجامع: ٤٤٠٦).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر». (صحيح البخاري: ٩/٥٦٩، ١٠/٢٣٨، ٢٤٧، ومسلم: ٢٠٤٧).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن في عجوة العالية شفاء، وإنها ترياقٌ من أول البكرة». (صحيح مسلم: ٢٠٤٨).

و«العالية» المقصود بها: عالية المدينة، وجمعها عوال، وهي مكان في الجهة الجنوبية من المدينة وأدناها إلى المسجد النبوي يبعد ميلاً.

«الترياق»: ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجن.

«أول البكرة»: المراد أكلها في الصباح قبل أن يأكل أي شيء آخر.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الرد على منكري السنة النبوية من المعاصرين



في شريعة الإسلام

إعداد: د/ محمود المراكبي

يتزعم الأستاذ/ جمال البنا إنكار السنة النبوية - والرجل لا مكن الله له قرارا - بينه وبين حديث «من بدل دينه فاقتلوه» أزمة نفسية تجعله يصرخ برأيه في الإعلام المرئي والمسموع، ونحن بلد الأزهر، وعلماؤنا يغضون الطرف عنه، ولو تناولوا فكره لأسكتوه.

والرجل يزعم أنه ليس في السنة دليل على حد الردة، وأن الحديث يناقض صريح القرآن، وأنه لم يطبق في عهد النبي ﷺ ولا في عهد أصحابه الكرام، وهذا كذب مفترى على الله ورسوله ﷺ، وتدليس صريح على عامة المسلمين وتشكيك في دين الله.

من المهم إدراك اكتمال الدين يوم حجة الوداع، وأن قيامه على أساس الإيمان والاتباع للكتاب والسنة، وما كان عليه فهم الصحابة والسلف الصالح لهما، فإذا ثبت وصح بالنقل الصحيح قضاء الله ورسوله في المرتد، يكون فتح الكلام في الموضوع من جديد خروجا عن نصوص الدين الكامل، فماذا بعد الحق إلا الضلال المبين، والمسلم يتساءل ما الذي يحدث هذه الأيام لماذا نهدم كل الثوابت التي استقرت الأمة عليها من قرون، ولمصلحة من هذه العمالة الذليلة، ولماذا نناقش حد الردة اليوم، هل نشجع المارقين عن الدين للكفر بالإسلام، أم نروج لمفاهيم الاستخراب الذي تصدره الولايات المتحدة، بدعوى رعايتهم للحريات الشخصية، وهدفهم إزاحة المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، ويستعملون عملاء علمانيين مفتونين بالحضارة الغربية، ينكرون ثوابت الدين تارة، ويهاجمون الإمام البخاري تارة أخرى، ولا يحركهم إلا الكراهية للإسلام كله، ويفرضون علينا بقوة القانون ما أملته عليهم الولايات المتحدة الأمريكية، وهم اليوم يريدون أن يسمحوا للشيعة والبهائية والقاديانية وكل الفرق الضالة أن يكون لها اعتراف، وأن تقام لها المساجد والمعابد، والاعتراف بفرقهم في البطاقات القومية، مع إفساح المجال لحملات التبشير النشيطة وسط المسلمين، فيجدوا حد الردة سيفا على رقابهم، فيظهر أمثال الأستاذ/ جمال البنا ببدعة إنكار السنة، ولم يعلموا أن النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة قد طبقوا الحد، وها هي الأدلة على ذلك.

أولا: الرسول يطبق حد الردة:

قد روي: أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا، فَبَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ: «اشْرَبُوا أَبْوَالَهَا وَأَلْبَانَهَا»، فَقَتَلُوا رَاعِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَاقُوا الإِبِلَ، وَارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلامِ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلافٍ، وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، وَأَلْقَاهُمْ بِالْحَرَّةِ، قَالَ أَنَسٌ: قَدْ كُنْتُ أَرَى أَحَدَهُمْ يَكْدِمُ الأَرْضَ بِفِيهِ حَتَّى مَاتُوا، وَرُبَّمَا قَالَ حَمَّادٌ: يَكْدِمُ الأَرْضَ بِفِيهِ حَتَّى مَاتُوا وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، أَنَّ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُنْزَلَ الْحُدُودُ، يقول ابن القيم في زاد المعاد: أن النبي ﷺ سمل أعينهم لما سملوا عين الراعي، والنبي ﷺ قطع أيديهم وأرجلهم حدا لله على حرابهم وإفسادهم، فقد تلقوا استضافة النبي ﷺ لهم بالجحود والنكران، وسرقوا إبله واستاقوها إلى ديارهم، ولما كفروا بعد إسلامهم، تركهم في الشمس حتى ماتوا، وقد ظهر أن القصة محكمة، ليست منسوخة، وإن كانت قبل أن تنزل الحدود، والحدود قد نزلت بتقريرها لا إبطالها، وجعلت الحد القتل بالسيف.

ثانيا: الصحابة يطبقون حد الردة:

١- الصديق يقيم حد الردة: فقد قتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه امرأة ارتدت بعد إسلامها يقال لها أم قرفة(١)، وعند البيهقي أن أبا بكر استتابها فلم تتب فقتلها مُثلة.

٢- عمر بن الخطاب يأمر بالاستتابة ثلاثا قبل إقامة حد الردة:فقد قيل له: رجل كفر بعد إسلامه، قال: ما فعلتم به؟ قالوا: قربناه فضربنا عنقه، قال: فهلا حبستموه ثلاثا،واطعمتموه كل يوم رغيفا، واستتبتموه لعله يتوب، ويراجع أمر الله»(٢).

٣- معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري يطبقان حد الردة: ورد في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ رَجُلًا أَسْلَمَ، ثُمَّ تَهَوَّدَ، فَأَتَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَهُوَ عِنْدَ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: مَا لِهَذَا ؟، قَالَ: «أَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ»، قَالَ: لا أَجْلِسُ حَتَّى أَقْتُلَهُ قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ(٣) إن معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري يطبقان القتل كحد للردة في اليمن على رجل يهودي أسلم ثم ارتد، ولا مجال لمتنطع أن يصرف هذه الرواية عن مضمونها، وانظر إلى قولهم قضاء الله ورسوله، لتعلم استقرار حد الردة في قلوب أصحاب النبي ﷺ .

٤- علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس يطبقان حد الردة: إن قومًا من أتباع عبد الله بن سبأ زعموا أن علي بن أبي طالب هو الله، فلما بلغه ذلك جمعهم واستتابهم ثلاثًا ثم حفر لهم وأوقد في الحفرة نارًا ليخوفهم حتى يرجعوا عن كفرهم، فلما أبوا حرقهم وألقاهم فيها، والقصة يرويها البخاري في صحيحه فلما بَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ ذلك، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: لا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ، وَلَقَتَلْتُهُمْ»، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» إن ابن عباس أقر عليًا على قتلهم ولكنه توقف في حرقهم بالنار لأن النار لا يعذب بها إلا الله. ولما عرف علي تعليق ابن عباس قال: وَيْحَ ابْنِ أُمِّ الْفَضْلِ، إِنَّهُ لَغَوَّاصٌ عَلَى الْهَنَاتِ، وأقر بأنه أخطأ بحرقهم.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا: «إِنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ، يَعْنِي الْمَدِينَةَ، لا يَصْلُحُ فِيهَا مِلَّتَانِ، فَأَيُّمَا نَصْرَانِيٍّ أَسْلَمَ ثُمَّ تَنَصَّرَ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ».

وفي حديث مشهور قارب حد التواتر رواه ثمانية من الصحابة: أبو هريرة، علي بن أبي طالب، وابن عباس، معاذ بن جبل، معاوية بن حيدة الأنصاري، عبد الله بن عمر، والحسن بن علي بن أبي طالب، وزيد بن أسلم، وأرسله الحسن البصري، وورد ١٠٤ مرة في مصادر الحديث الشريف وفق استقصاء برنامج جوامع الكلم، وهو أول جمع حقيقي للسنة المطهرة، يقول النبي ﷺ : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وفي رواية: «من رجع عن دينه فاقتلوه»، وفي لفظ: «من ارتد عن دينه فاقتلوه»، هكذا جاءت النصوص عامة بلا أي قيد أو شرط، ودون استثناء أو تخصيص.

ثالثا: آثار التابعين حول الردة: خصص

الإمام البخاري كتابا في صحيحه سماه استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، وكذا صنع كثير من مصنفي مصادر الحديث، ومنهم من ذكر حد الردة في كتاب الحدود، فالأمر مستقر طوال القرون الثلاثة الأولى التي سماها النبي خير القرون. كما كثرت أقوال التابعين عن حد المرتد، ولا خلاف بينهم على قتل الرجل المرتد، والخلاف بينهم حول المرأة المرتدة، وننقل جملة من آثار أعلام التابعين حول حد الردة، ومنها:

عن طاوس قال: لا يقبل منه دون دمه، الذي يرجع عن دينه(٤).

عن إبراهيم النخعي في المرتد قال: يستتاب، فإن تاب ترك، وإن أبى قتل(٥).

عن ابن شهاب الزهري أنه قال: يدعى إلى الإسلام ثلاث مرات، فإن أبى ضربت عنقه(٦).

عن عطاء قال في الإنسان يكفر بعد إسلامه، يدعى إلى الإسلام، فإن أبى قتل(٧).

عن ابن جريج أنه قال: أخبرني عمرو بن دينار في الرجل يكفر بعد إيمانه، قال: سمعت عبيد بن عمير يقول: يقتل(٨).

رابعا: حكم الردة في المذاهب الأربعة

١- مذهب الأحناف: يقول الكاساني في بدائع الصنائع: «مِنْهَا - أي من أحكام المرتد - إبَاحَةُ دَمِهِ إذَا كَانَ رَجُلًا، حُرًّا كَانَ أَوْ عَبْدًا؛ لِسُقُوطِ عِصْمَتِهِ بِالرِّدَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ». وَكَذَا الْعَرَبُ لَمَّا ارْتَدَّتْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعَتْ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى قَتْلِهِمْ» (بدائع الصنائع ١٥ / ٤٢١).

٢- مذهب المالكية: قال ابن عبد البر في الكافي في فقه أهل المدينة: حكم المرتد ظاهرًا، وحكم من أسر الكفر، أو جحد فرضًا مجتمعًا عليه، أو أبى من أدائه أو سحر، وكل من أعلن الانتقال عن الإسلام إلى غيره من سائر الأديان كلها طوعًا من غير إكراه، وجب قتله بضرب عنقه. «الكافي ٢ / ٢١٠».

٣- مذهب الشافعية: قال الإمام النووي في المجموع شرح المهذب: «إذا ارتد الرجل وجب قتله، سواء كان حرا أو عبدا، لقوله ﷺ (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفسا بغير نفس).»، ثم قال: «وقد انعقد الإجماع على قتل المرتد، وإن ارتدت امرأة حرة أو أمة وجب قتلها، وبه قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه والحسن والزهري والأوزاعي، والليث ومالك وأحمد واسحاق». (المجموع شرح المهذب ١٩ /٢٢٨).

٤- مذهب الحنابلة: قال ابن قدامة في المغني: «وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ الْمُرْتَدِّ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَمُعَاذٍ، وَأَبِي مُوسَى، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَخَالِدٍ، وَغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ، فَكَانَ إجْمَاعًا». (المغني مع الشرح الكبير ٩ / ١٦).

خامسا: القول في الإكراه في الدين: يقول ابن حزم في المحلى بالآثار: فَبَقِيَ الآنَ الْكَلامُ فِي احْتِجَاجِهِمْ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى «لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ» فَوَجَدْنَا النَّاسَ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، وَالثَّانِي: أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ.

فَأَمَّا مَنْ قَالَ: إنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، فَيَحْتَجُّ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ الْوَثَنِيِّينَ، فَيُقَالُ لَهُمْ لَمْ يَخْتَلِفْ مُسْلِمَانِ فِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ الْوَثَنِيِّينَ مِنْ الْعَرَبِ إلا الإِسْلامَ أَوْ السَّيْفَ إلَى أَنْ مَاتَ ﷺ فَهُوَ إكْرَاهٌ فِي الدِّينِ، فَهَذِهِ الآيَةُ مَنْسُوخَةٌ، مَنْ قَالَ: إنَّهَا مَخْصُوصَةٌ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إنَّمَا نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى خَاصَّةً، كَمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ لِعَجُوزٍ نَصْرَانِيَّةٍ: أَيَّتُهَا الْعَجُوزُ أَسْلِمِي تَسْلَمِي، إنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ إلَيْنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ فَقَالَتْ الْعَجُوزُ: وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ وَأَمُوتُ إلَى قَرِيبٍ قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ، وَبِمَا رُوِينَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ تَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إنْ عَاشَ وَلَدُهَا تُهَوِّدُهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ، فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: لا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ». فَقَدْ صَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَاتَلَ الْكُفَّارَ إلَى أَنْ مَاتَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَتَّى أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ. وَصَحَّ عَنْهُ الإِكْرَاهُ فِي الدِّينِ، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ «فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

وَجَدْتُمُوهُمْ الآيَةَ إِلَى قَوْله تَعَالَى «فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ». وَنَزَلَ قَوْله تَعَالَى «قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّه وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ» إِلَى قَوْله تَعَالَى «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ». فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ قَوْله تَعَالَى «فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ». فَيُقَالُ لَهُمْ: لا يَخْتَلِفُ اثْنَانِ فِي أَنَّ هَذِه الآيَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ نُزُولِ «بَرَاءَةٌ» فَإِذْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَإِنَّ «بَرَاءَةٌ» نَسَخَتْ كُلَّ حُكْمٍ تَقَدَّمَ، وَأَبْطَلَتْ كُلَّ عَهْدٍ سَلَفَ بِقَوْله تَعَالَى «كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّه وَعِنْدَ رَسُوله إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِد الْحَرَامِ» وَإِنَّمَا كَانَتْ آيَةُ النَّبْذ عَلَى سَوَاءٍ أَيَّامَ كَانَتْ الْمُهَادَنَاتُ جَائِزَةً، وَأَمَّا بَعْدَ نُزُول «فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» فَلا يَحِلُّ تَرْكُ مُشْرِك أَصْلا، إِلا بِأَنْ يُقْتَلَ، أَوْ يُسْلِمَ، أَوْ يُنْبَذَ إِلَيْه عَهْدُهُ بَعْدَ التَّمَكُّنِ مِنْ قَتْله حَيْثُ وُجِدَ، إِلا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَبْنَاء الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فَيُقَرُّ عَلَى الْجِزْيَة وَالصَّغَار، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، أَوْ يَكُونَ مُسْتَجِيرًا فَيُجَارَ حَتَّى يُقْرَأَ عَلَيْه الْقُرْآنُ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى مَأْمَنه وَلا بُدَّ، إِلَى أَنْ يُسْلِمَ، وَلا يُتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ رَسُولاً فَيُتْرَكَ مُدَّةَ أَدَاء رِسَالَته، وَأَخْذ جَوَابه، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى بَلَده، وَمَا عَدَا هَؤُلاءِ فَالْقَتْلُ وَلا بُدَّ، أَوْ الإِسْلامُ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نَصِّ الْقُرْآنِ، وَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ. (المحلى لابن حزم ١١ / ١٩٦).

ونكتفي بهذا القدر خشية الإطالة بعد أن أثبتنا حد الردة من فعل النبي وأصحابه ثم التابعين رضوان الله عليهم أجمعين، وبهذا يظهر أن السعي إلى رضا دول الغرب على حساب ثوابت الدين، أمر لا يقدم عليه إلا أعوان الظلمة وأتباع الشياطين، إن الإسلام لا يرغم أحدًا على الدخول فيه لقوله تعالى: «لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» وليس معنى هذا ترك الباب مفتوحًا أمام اللاهين والعابثين، يدخلون اليوم ويخرجون غدًا، إن الحدود في الإسلام تقيد اللذة، فالزاني والزانية يتمتعان بالمتعة الحرام، والرجم قيد لحريتهما من العبث بمحارم الله، وقطع يد السارق، نكالاً عندما أطال يديه ومدهما إلى مال غيره، فحريته في سرقة مال غيره، تجعل الإسلام يقطع يده، ولا أحد يقول إن حرية السارق مسلوبة، وحبه للمال يقيده الإسلام،وعندما حارب الصديق مانعي الزكاة، وهي ركن من أركان الإسلام، أفيترك الإسلام من يهدم ركنه الأول وهو شهادة التوحيد بلا قصاص، فلا نامت أعين الخبثاء أصحاب الأهواء.

والله ولي التوفيق.

الهوامش

١- أخرجه الدارقطني في سننه ٢٨١١، والبيهقي في سننه الصغير ١٤٥٠، وفي السنن الكبرى حديث ١٥٥٢١، الأموال للقاسم بن سلام حديث ٤١٨، وكتاب المحاربة من موطأ ابن وهب حديث ٢٣.

٢ - أخرجه الشافعي في الأم حديث ٤٤٣

٣- أخرج البخاري في كتاب الأحكام من صحيحه حديث رقم ٦٦٥٣، وابن حزم بإسناد حسن رجاله ثقات في المحلى بالآثار حديث ١٤٩٤، والنسائي بإسناد حسن رجاله ثقات في السنن الصغرى حديث رقم ٤٠٢٢

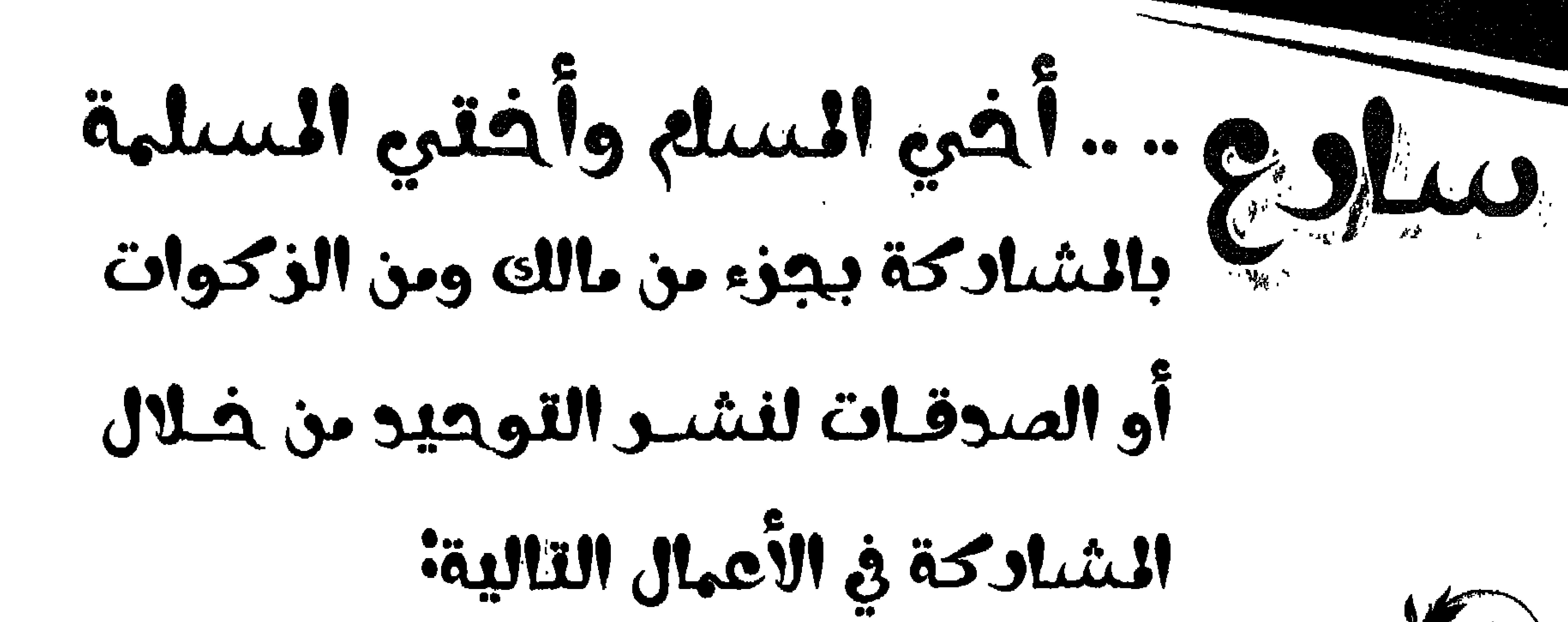
٤- مصنف عبد الرزاق حديث ١٨٠٨٨، وطاوس بن كيسان كما قال عنه أبو سعد السمعاني: حجة باتفاق، وقال عنه أبو حاتم بن حبان البستي: من عباد أهل اليمن، ومن فقهائهم ومن سادات التابعين، وقال عنه النووي: اتفقوا على جلالته وفضيلته، ووفور علمه، وصلاحه، وحفظه، وتثبته

٥- مصنف ابن أبي شيبة ٢٨٤١٠، وإبراهيم النخعي ثقة باتفاق

٦- مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٤١٢، وابن شهاب الزهري إمام محدث معروف، قال عنه ابن حجر العسقلاني في التقريب: الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه

٧- مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٤١٣، وأما عطاء فهو بن أبي رباح أسلم، قال عنه أبو حاتم بن حبان البستي: كان من سادات التابعين فقها وعلما وورعا وفضلا، وقال عنه الذهبي: ثبت رضي حجة إمام كبير الشأن

٨- مصنف ابن أبي شيبة ٢٨٤١٣، وكان شعبة بن الحجاج بن الورد أحد أعلام المحدثين لا يقدم على عمرو بن دينار أحدا، يعني في الثبت، ومرة: لم أر مثله، وكان ابن شهاب الزهري يقول: ما رأيت شيخا أنص للحديث الجيد منه



سارع .. أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات

أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال

المشاركة في الأعمال التالية:

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٧ سنة من المجلة.

- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.

.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.


الآن
سارع
بحجز نسختك من المجلد الجديد
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
١٤٢٩
التوحيد
مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
١٤٢٩